

شواهد القرآن

تأملات في استحضر السلف للآيات

نايل الشريف



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن نورًا للقلوب، وحياةً للأرواح، وهديً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام، والصلاة والسلام على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان القرآن خُلِقَ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن من أعظم ما يلفت القلب عند التأمل في سير السلف الصالح: أن القرآن لم يكن عندهم كتابَ تلاوةٍ مجردة، ولا نصوصاً تُقرأ في المحارب فحسب، بل كان:

حاضرًا في مواقفهم، جاريًا على ألسنتهم، مفسرًا لأحداث حياتهم، ومصدرًا لنظرتهم إلى الناس والدنيا والنفس.

فكان أحدهم يرى موقفًا فيتذكر آية، أو يسمع كلمة فيستحضر شاهدًا من القرآن، أو يشاهد حالًا من أحوال الناس فتجري الآيات على لسانه وكأنها نزلت تصف ذلك المشهد.

فترى:

* من رأى انشغال الناس ولهوهم تلا: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ٥٢].

* ومن رأى التعلق بزينة الدنيا قرأ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [سورة الحجر:
آية ٨٨].

* ومن سمع كلمة إصلاح بين الناس استحضر: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ
مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [سورة النساء: آية ١١٤].

وكان القرآن عندهم: حياةٌ تُعاش، لا مجرد آيات تُتلى.

هذا هو جوهر الشواهد القرآنية: أن يشهد القرآن للواقع، ويشهد
الواقع للقرآن.

وقد كان من أقدم من دوّن هذه المواقف الإمام أبو عبيد القاسم بن
سلام في كتابه «شواهد القرآن»، فجمع فيه ما نقل عن السلف من آيات
استشهد بها في اللغة والمعاني والمواقف.

وقد كانت هذه المادة التي بين يديك حصيلة تأملاتٍ وجمعٍ وانتقاءٍ
من هذا السفر الجليل، بأسلوبٍ ميسرٍ معاصر، يربط القارئ بمعاني
الشواهد، ويكشف له كيف كان القرآن حيًّا في قلوب سلفنا.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل مفتاحًا للربط الحي بين كتابه العظيم وواقعنا، وأن يرزقنا من التدبر نصيبًا، ومن بركة القرآن حظًا، وأن يكتب أجر كل من أعان على هذا الجمع والشرح والنشر. والله ولي التوفيق.

نايل مستور الشريف



الشاهد الأول

الصلاة عند المصيبة – سلوك الخاشعين

✿ يقول المؤلف:

«عن ابن عباس: نُعي إليه أخوه قُثم وهو في مسير، فاسترجع ثم تنحى عن الطريق، فأناخ، فصلّى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام إلى راحلته وهو يقول أو يقرأ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]»

✿ التأملات:

* «إذا أصابت الإنسان مصيبة، فليُسارع إلى الصلاة كما فعل ابن عباس. والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. والدرس أن الصحابة كانوا يُطبّقون القرآن واقعاً».

■ الفوائد:

١. الصلاة أولاً، فالمتأمل في سلوك الصحابة عند المصائب يعلمنا أن أول ما يُلجأ إليه هو باب الصلاة، لا التذمّر ولا الجزع، بل استحضار الصلّة بالله.

٢. المبادرة للتطبيق هي توفيق من الله، فابن عباس لم يكتفِ بالاسترجاع، بل جعل الصلاة تعبيراً عن خضوعه، واختار أن يعتزل الطريق ويصلي ركعتين، فكان فعله تعليماً صامتاً.
٣. هذا الشاهد يوضح أن الصحابة يطبّقون الآية عملياً، ويفقهون دلالاتها السلوكية، لا مجرد تلاوتها اللفظية.



الشاهد الثاني

ثلاث عطايا ربانية لمن قال «إنا لله وإنا إليه راجعون»

يقول المؤلف:

* عن ابن جريج قال: «بلغنا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ما من أحد أُصيب بمصيبة فاسترجع إلا استوجب من الله ثلاث خصال، كل خصلة خير من الدنيا وما فيها).

* ثم قال: يعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]

التأملات:

* ورد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما انطفأ السراج في بيت عائشة، قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون). قالت عائشة: ألهذا تقولها؟! فقال لها هذا الحديث. فالاسترجاع يُقال حتى في الأمور الصغيرة.

الفوائد:

١. تأمل في جوهر الاسترجاع وجوائزه، فالاسترجاع عبادة قلب ولسان، وجوهره تسليم العبد لمولاه في كل حال، وهو مفتاح لنيل:

* **صلوات:** أي ثناء الله عليك في الملائ الأعلی، تخیل رب

العالمین یدکرك ویشني علیك

* **رحمة:** تشمل تسکین القلب وجبر الکسر وتعویض أعظم

* **هداية:** أعظم ثمرة للمصیبة هی أن تخرج منها أقرب إلى

الله تعالی.

وكل واحدة منهن خیر من الدنيا وما فیها.

٢. الموقف النبوی مع عائشة یرینا علی أن نغرس الذکر فی

تفاصيل الحیاة الصغیرة، لا فی المصائب العظمی فقط.



الشاهد الثالث

علم لا يُقال إلا بميزان

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن أبي هريرة قال: لو حدّثتكم بكل ما أعلم لرميتموني بالقشع، ولكن الله الموعد. ولولا أنه في كتاب الله ما حدّثتكم، إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٩]»

✽ التأمّلات:

✽ «كان عند أبي هريرة من العلم الكثير، لكنه لا يُحدّث إلا بما تقبله العقول».

✽ ورد عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قوله: (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّئُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَشَّئُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ) رواه البخاري (رقم ١٢٠)

✽ وقال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللهُ**: «حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضهم ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم، كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان».

* يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة.

■ الفوائد:

١. ليس كل ما يُعلم يُقال، والحكمة في توقيت العلم أبلغ من مجرد التبليغ، وأبو هريرة كان مثلاً في ذلك.
٢. خوف أبي هريرة من التبعة أمام الله إن هو كتم العلم - رغم خوفه من ردة فعل الناس - يعلمنا أن العلم أمانة تُبلّغ بفقهِه.
٣. في هذا الشاهد قاعدة عظيمة للدعاة:
قد يكون كتمان بعض العلم في وقتٍ ما رحمةً، لا خيانةً.
والميزان في ذلك هو المصلحة والمفسدة، ومدى وعي الناس.



الشاهد الرابع

لا إكراه في الدين - فقه المواقف والفتاوى

يقول المؤلف:

* «عن عبد الله بن أبي سعيد، قال: سمعت الحسن - أي البصري -
وسأله رجل فقال: يا أبا سعيد، غلامي لا يصلي، أفأضربه؟ فقال:
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾».

التأملات:

* السؤال هنا: «هل كلام الحسن على إطلاقه؟ يعني إذا كان
المملوك لا يصلي، هل يُقال له لا إكراه في الدين؟
الجواب: أن الحسن البصري له نظرٌ دقيق؛ فقد عرف حال غلام
هذا السائل فقال له هذه الفتوى.

* وقد يُسأل من شخص آخر فيجيبه بجواب مختلف. لأن الفتوى
تختلف عن الحكم العام، فهي تتغير بتغير حال المستفتي: فقد
يكون كافرًا، أو مسلمًا حديث عهد بالإسلام».

■ الفوائد:

١. كلام الحسن البصري يدل على فقه الواقع وفهم النفوس؛ فقد رأى أن هذا الغلام ليس مجبراً على ترك الصلاة، بل ربما فيه ضعف أو جهل، فأجابه بـ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ باعتبار الموقف.
٢. تُفرّق الرواية بين الحكم الشرعي الثابت (مثل وجوب الصلاة)، وبين الفتوى الاجتهادية التي تُبنى على حال السائل وظروفه.
- الفتوى تتغيّر بتغيّر الأشخاص والأحوال، بخلاف الحكم.
٣. قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ في مقام السؤال عن الغلام يُفهم على أنه باب للرحمة لا للتفريط، وكأن الحسن يقول: علّمه وارفق به، فإن القلوب لا تُفتح بالعنف.
٤. الفقهاء الربانيون هم من يفهمون النص ويقرأون السائل معاً، فيعطون كل نفسٍ ما يناسبها من دواء.



الشاهد الخامس

بيع الدين بأقل منه – بين ظاهر النص ومقاصد الشريعة

يقول المؤلف:

* «أن رجلاً من بني غافق كان له على رجل من مهارة مائة دينار في زمن عثمان بن عفان، فغنموا غنيمة حسنة، فقال الرجل: أُعجِّلْ لك تسعين ديناراً وتمحو عني المائة، وكانت مستأخرة، فرضي بذلك الغافقي.

فمرّ بهم المقداد بن الأسود، فأخذوا بلجام دابته ليشهداه، فلما قصّا عليه القصة، قال: كلا كما قد أذن بحرب من الله ورسوله».

التأملات:

* «المقداد استند في إنكاره بناء على الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا

يُحَرِّبُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]

* ولكن الصحيح في هذه المسألة: الجواز. فلو كان بيني وبينك دين، ثم اتفقنا على أن تُسدّد جزءاً منه مقابل إسقاط الباقي، ورضي الطرفان، فهذا جائز شرعاً».

■ الفوائد:

١. الاتفاق على إسقاط جزء من الدين مقابل التعجيل في السداد - إذا تم برضى الطرفين دون اشتراط مسبق - جائز شرعاً، ولا يُعد من الربا، خلافاً لما ظنه بعض الصحابة.
٢. المقداد فهم الآية على ظاهرها وربطها بالموقف، لكن العلماء ميزوا بين الربا المحرّم وبين التصالح في الدين برضا الطرفين دون زيادة مشروطة، وهذا بيان لاجتهاد الصحابة واختلافهم في تنزيل النص.
٣. التيسير في المعاملات المالية مقصود شرعي، ما دام خالياً من الربا الصريح أو الشروط الظالمة، وهو باب من أبواب رفع الحرج عن الناس.
٤. قصة المقداد تُبيّن حرص الصحابة على تعظيم النصوص وتوقي الوقوع في الحرام، حتى وإن وقع اجتهاد خاطئ؛ لأن دافعهم كان الخوف من الله.



الشاهد السادس

السَّلْم - بيع الثقة المؤطر بالشرع

يقول المؤلف: ❁

* «عن سعيد بن جبير، قال: كان ابن عباس يقول: (أشهد أن السلف المضمون إلى أجل معلوم بكيل معلوم أو وزن معلوم، أحلّه الله وأذن فيه، أما تقرأون قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]»

* فسواء باع الطعام إلى أجل واكتب ذهبًا، أو أعطى ذهبًا إلى أجل واكتب طعامًا».

التأملات: ❁

* «السَّلْم المذكور هنا هو ما يُعرف عند الفقهاء بـ(السَّلْم)، وهو أن تُعطي المال الآن، وتنتظر السلعة لاحقًا، كأن تأتي إلى صاحب مزرعة وتقول: أريد نوعًا من الثمرة تُسلمني إياها بعد سنة، وتعطيه المال مُقدّمًا».

وله صورتان:

١. أن يُقدّم الطعام ويُوجّل المال

٢. أن يُقدّم المال ويُوجّل الطعام».

■ الفوائد:

١. السّلم (أو السلف) هو بيع مشروع بإجماع الصحابة إذا توفّرت شروطه:

مال معجّل وسلعة موصوفة في الذمّة وأجل معلوم وكيل أو وزن معلوم

٢. ابن عباس استدلّ بآية الدين على جواز بيع السّلم، مما يدل على أن القرآن يُستدل به على مسائل المعاملات المالية الدقيقة، وأن الصحابة كانوا يفقهون أحكام العقود من دلالة الآيات.

٣. السّلم هو حل شرعي لتمويل أصحاب المشاريع قبل تحصيل المحصول أو الصناعة، وهو من أقدم صور «التمويل المُقدّم» بشروط واضحة تحقّق مصلحة الطرفين.

٤. البيع بهذه الطريقة يُعزّز الثقة بين الناس، ويشجّع على الضبط والتوثيق، كما أمرت الآية: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾.



الشاهد السابع

لا يُصلح الغدرُ أن يكون فقهاً

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن صَعْصَعَةَ، قال: قلت لابن عباس: إنا نسير بأرض أهل الذمة، فنُصيب من طعامهم وعلفهم.

فقال: بغير ثمن؟

قلت: نعم.

فقال: كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

✽ التأملات:

«إجابة ابن عباس تحتمل معنيين:

١. إما أن يكون المقصود: كما أنهم يعتدون عليكم بحجة أنه لا سبيل عليكم، فافعلوا أنتم مثلهم - على سبيل القصاص والرد بالمثل.

٢. أو أن ابن عباس ذمّ هذا الفعل، واحتج بالآية لبيان كذبهم وبهتانهم، لأن الله قال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

والراجح: أن طعام أهل الذمة وعلفهم لا يجوز أخذه إلا بحقه، سواء بالشراء أو بالإذن، ولا يجوز التعدي عليه.

■ الفوائد:

١. مال الذمي معصوم في الشريعة، ولا يجوز أخذه إلا برضاه وبحق شرعي، وإن كان من أهل الحرب أو أهل الذمة، فالعقود محفوظة والذمم مرعية.
٢. ابن عباس استشهد بالآية لا ليبرر الفعل، بل ليدينه، حيث أشار إلى أن قول أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّمِّنْ سَبِيلٌ﴾ [سورة آل عمران: آية ٧٥] قول باطل، والله ذمهم عليه، فلا يجوز للمسلمين أن يسلكوا سبيلهم.
٣. هذا الشاهد يوضح أهمية تحقيق مناط الاستدلال، فليس كل من احتج بآية على فعل يكون صائبًا، بل قد يكون استشهاده في مقام التوبيخ لا التوجيه.
٤. الإسلام دين الأمانة والعدل، لا يُبيح الغدر أو الظلم، ولو فعله غير المسلمين.



الشاهد الثامن

سلاح اليمين - بين أمانة الخصومة وعذاب الآخرة

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن ابن أبي مليكة، أن امرأتين كانتا في بيت ليس معهما غيرهما، فسمعوا الصوت، فدخلوا عليهما فإذا المخرز في كف إحداهما.

✽ قال ابن أبي مليكة: فأتيت بهما، فأرسلت إلى ابن عباس في ذلك،

فقال: سلهما، وقرأ عليهما الآية التي في آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧]

✽ فإن أقرت، وإلا فأحلفها، واخلّ سبيلها».

✽ التأمّلات:

✽ «القضية كانت خصومة بين امرأتين، قد يكون بينهما خلاف أو

اعتداء.

✽ فحين سمع الناس الصراخ ووجدوا المخرز في كف إحداهما،

أحيل الأمر إلى ابن عباس، فأوصى بسؤالهما، ثم قراءة الآية،

لأنها شديدة الوعيد في شأن اليمين الكاذبة، ثم إن أقرت، فبها،
وإن أنكرت فلتُحلف وتُخلى».

■ الفوائد

١. منهج ابن عباس يُبين عدالة القضاء الإسلامي:

* تحقيق بالسؤال

* وتذكير بالآخرة قبل اليمين

* واعتماد اليمين عند إنكار التهمة

وهذا يوافق قاعدة: «البينة على المدعي، واليمين على من
أنكر».

٢. تلاوة الآية التي فيها الوعيد الشديد على اليمين الكاذبة تزرع
رهبة في قلب المتهم، وقد تجعله يعترف إن كان كاذبًا، وتمنعه
من التهاون في الحلف.

٣. القرآن لم يكن في حياة الصحابة حكرًا على المساجد والمواعظ،
بل كان يُستخدم في فضّ النزاعات، وإيقاظ الضمير، وتهذيب
الخصومة.



الشاهد التاسع

دمعة على ضلال... وقلوب احترقت بآية

يقول المؤلف:

* «عن شداد بن عبد الله، قال: وقف أبو أمامة - وأنا معه - على رؤوس الحرورية عند مسجد حمص أو دمشق، فدمعت عيناه. فسئل عن ذلك، فقال: رحمتهم؛ إنهم كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦) [آل عمران: ١٠٥-١٠٦]»

التأملات:

* «الحرورية طائفة من الخوارج، وكان استدلال أبي أمامة بالآية استدلالاً جميلاً على حال من دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه».

الفوائد:

١. الحرورية فرقة من الخوارج، كانوا في الظاهر من أهل الصلاة والنسك، لكنهم خالفوا جماعة المسلمين، وكفروا الأمة،

واستحلّوا الدماء، فخرجوا من الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

٢. بكاء أبي أمامة على الخوارج ليس تأييدًا لهم، بل شفقة على مصيرهم، وهذا يدل على رقة قلوب السلف وخوفهم من سوء الخاتمة حتى على من ضلّ.

٣. أبو أمامة استدلّ بآية الافتراق، مبيّنًا أن الانقسام والاختلاف بعد مجيء البينات من أعظم أسباب الهلاك، كما دلت الآيات على اسوداد وجوه من ارتدوا بعد الإيمان.

٤. الآيات تبيّن أن الارتداد لا يكون فقط بترك الدين كله، بل أيضًا بالخروج عن الجماعة، والطعن في الوحي، والوقوع في الغلو أو التفريط.

٥. مع أن الخوارج من أخطر الفرق، فإن السلف لم يُلغوا إنسانيتهم، بل رقت قلوبهم حين رأوا مصيرهم البائس، وهذه نظرة فيها توازن بين الإنكار والرحمة، بين الحكم على الخطأ والشفقة على المخطئ.



الشاهد العاشر

الحلم لا يشتري بالثناء، والصدق لا يعرض للبيع

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن سفيان، قال: صحب رجل الأحنف بن قيس، فلما مرَّ بمكانه

قال له: يا أبا بحر، ألا تعرض إلى المنزل فنحملك ونفعل؟

فقال الأحنف: لعلك من العراضين الذين يحبون أن يُحمدوا بما

لم يفعلوا.

فقال الرجل: يا أبا بحر، إني، وإني (أي أثنى على نفسي).

فقال له الأحنف: يا ابن أخي، إذا رأيت الحق فاقصد له، واهجر

ما سواه».

✽ التأمّلات:

✽ «الأحنف بن قيس من التابعين، وُلِدَ في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لكنه لم يدركه، وكان يُضرب به المثل في الحلم.

✽ وفي هذه الحادثة، لما رأى الأحنف أن الرجل يعرض له بالكلام

ليحصل على الشكر، وربما لم يكن جاداً في الإكرام، قال له:

لعلك من العراضين الذين يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، أي:

تُظهر الكرم لتمدح وأنت لم تُكرم».

■ الفوائد المستخرجة من هذا الشاهد:

١. الأحنف أنكر على من يعرض بالكلام طلباً للثناء دون أن يفعل شيئاً حقيقياً، تطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا...﴾ [آل عمران: ١٨٨]
وهي صفة مذمومة تدل على الرياء وطلب السمعة.
٢. قول الأحنف: «إذا رأيت الحق فاقصد له...» قاعدة ذهبية في السير إلى الله: لا تتعلّق بالأصوات الجانبية، بل سر إلى الحق بوضوح، ولا تلتفت إلى الزخارف اللفظية.
٣. الموقف يعكس قوة شخصية الأحنف، وحزمه في نُصح من حوله دون مجاملة، مع أدب رفيع وتوجيه رقيق.
٤. الأحنف بن قيس كان يُضرب به المثل في الحِلْم، ومع ذلك كان واضحاً لا يتساهل في المجاملة على حساب المبدأ، وهذا هو التوازن النبيل في شخصية المصلحين.



الشاهد الحادي عشر

بين شرط الزوجة وقوامة الرجل – موازنة بين النص والاتفاق

يقول المؤلف: ❁

* «عن عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في رجل تزوج امرأة، فشرطت له أن تُقيم في دارها، فقال: شرط الله تعالى قبل شرطها.

* قال أبو عبيد: أراه أراد قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]

التأملات: ❁

* «هذه امرأة تزوجت وشرطت أن تبقى في دارها، فقال عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شرط الله قبل شرطها، لأن القوامة أعطيت للرجل، ومن تمامها أن يسكنها حيث يشاء وينفق عليها.

* ومع ذلك، فإن الصحيح من أقوال الفقهاء أن شرط المرأة في العقد بالبقاء في دارها شرط صحيح ومُلزم، ولا يتعارض مع القوامة، لأن الزواج قائم على التراضي والاتفاق».

■ الفوائد:

١. إذا اشترطت المرأة في عقد الزواج أن تبقى في دار أهلها أو دار معينة، فالراجح أنه شرط صحيح لازم، ما لم يُخِلَّ بأصل النكاح.
 ٢. قول عليٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يُبَيِّنُ أولوية النص على الشروط إذا تعارضت معه، ولكن يُفَرِّقُ بين ما ينقض أصلاً شرعياً وما يندرج تحته دون إبطاله، وهنا محل النظر في المسألة.
 ٣. الصحيح عند كثير من المحققين أن هذا الشرط لا يناقض القوامة، بل يُعد من باب التنظيم والاتفاق المشروع، لأنه لا يُسقط واجباً على الزوج ولا يُحرِّم حلالاً، بل ينظِّم المعيشة بين الطرفين.
 ٤. الزواج في الإسلام ليس ساحة صراع بين القوامة والحقوق، بل عقد ميثاق قائم على الرضا والتفاهم والصدق.
- فإن اشترطت المرأة شرطاً لا يُبطل مقصود النكاح، وجب الوفاء به. وأما القوامة، فهي تكليف لا تشریف، ومسؤولية لا سلطة مطلقة.
- قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوَفَّوْا بِهِ مَا اسْتَحَلَلْتُمْ بِهِ

الفروج» [البخاري ومسلم]

الشاهد الثاني عشر

الإصلاح بين الناس... جهاد من نوع آخر

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، قال: كنت جالساً عند محمد بن كعب القرظي، فأتاه رجل، فقال له القوم: أين كنت؟ قال: أصلحتُ بين قومي.

فقال له ابن كعب: أصبت، مثلُ أجر المجاهد.

ثم قرأ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]

✽ التأمّلات:

✽ «استنباط محمد بن كعب استنباط جميل في موضعه، حيث قرن أجر الإصلاح بين الناس بأجر المجاهد في سبيل الله، مستدلاً بآية تُبيّن عِظَمَ أجر هذا الفعل عند الله».

✽ فمن أصلح بين الناس فقد جاهد في حماية الأمة من التفكك، كما أن المجاهد يحميها من العدو الخارجي.

■ الفوائد:

١. الإصلاح بين الناس من أعظم القُرْبَات، وقد يبلغ أجره أجر المجاهد في سبيل الله، لأنه يُطْفِئُ فِتْنَةً، ويحقن دَمًا، ويغلق باب الشيطان.
٢. استشهاد محمد بن كعب بالآية يدل على عمق فقه السلف في تنزيل النصوص على الوقائع، فقد فهم أن الإصلاح عمل جليل يدخل في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: آية ١١٤].
٣. الإصلاح بين الناس لا يحتاج شهرة ولا منصبًا، بل نية خالصة، وسعي صادق، ويكفي أن تُريد وجه الله لتنال الأجر العظيم.
٤. أحيانًا ينشغل الناس بالقضايا العامة ويُهْمِلُونَ ما يقع في محيطهم من خصومات، مع أن كلمة إصلاح أو وساطة خيرة قد تكون عند الله أثقل من قيام الليل.



الشاهد الثالث عشر

نية الشفاعة... طريق إلى الأجر وإن لم تقبل

يقول المؤلف:

* «عن الحسن قال: من شفع شفاعة حسنة كان له أجرها، وإن لم يُشَفَّع، لأن الله تعالى قال: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] ولم يقل: يُشَفَّع».

التأملات:

* «هذا استنباط جميل ودقيق من الحسن البصري، إذ معنى (لم يُشَفَّع) أي لم تُقبل شفاعته، ومع ذلك يؤجر، لأن الآية علقت الأجر على الشفاعة نفسها، لا على قبولها».

■ الفوائد:

١. الحسن البصري استنبط أن الأجر معقود على الشفاعة نفسها، لا على نيتها، وذلك من دقة قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا...﴾ ولم يقل: من تُقبل شفاعته.

٢. هذا الشاهد يُرسّخ قاعدة إيمانية عظيمة: النية الصالحة يُكتب بها الأجر، وإن لم يتحقق أثرها الظاهري، ما دام صاحبها بذل وسعه.

٣. الشفاعة للناس - في الخير - باب أجر مفتوح، سواء في قضاء حاجة، أو في تيسير معروف، أو رفع ظلم، حتى لو لم تتحقق النتيجة المرجوة.

٤. يدل هذا الأثر على دقة السلف في استخراج الأحكام من فواصل التعبير القرآني، حيث علّق الحسن فهمه على صيغة الفعل واختيار الكلمة، وهي دلالة بلاغية عميقة.

٥. كم من إنسان سعى في شفاعته خير، فلم تُقبل، فظن أنه خرج صفر اليدين!

لكن القرآن يُطمئن القلوب: ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا...﴾ [النساء: ٨٥].

فالأجر ليس على النتيجة، بل على النية والعمل.

فازرع المعروف... ولا تنتظر الحصاد من الناس، بل من الله.



الشاهد الرابع عشر

رجاء المؤمن يصنع الفارق في ساحة الألم

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن الجراح بن عبد الله، أنه قال: قلّ ما حرص الناس على القتال، والله لو أن هذا الأمر الذي بيننا وبينهم كان جَزَعًا من نار، فقبضوا على طرفه وقبضنا على الطرف الآخر، لكننا أولى بالله وبالصبر على ما كرهنا منهم.

✽ وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]

✽ التأمّلات:

✽ «في هذا الأثر استنباط عظيم يدل على أن المجاهد يجب عليه أن يصبر على الألم ويثبت على الحق، ويعلم أن عدوه كذلك يتألم، لكن الفرق أن المسلم يرجو الثواب من الله، بخلاف الكافر الذي لا رجاء له».

■ الفوائد:

١. الآية الكريمة تُرسّخ أن الألم في ميادين المواجهة ليس دليل ضعف، بل هو مشترك، ولكن الرجاء في الله هو ما يمنح المؤمن القوة على الصبر والثبات.
٢. الجراح بن عبد الله طبّق الآية على واقع المعركة، فشبهها بـ«جزع من نار»، ومع ذلك قال: «لكننا أولى بالله..». وهذا تصوير بليغ يُبين أن الإيمان يجعل المسلم أكثر احتمالاً للشدائد، لأنه يرى ما وراءها.
٣. الخطاب الرباني في الآية يعالج الانهزام الداخلي، ويُعزز في نفس المؤمن أن خصمه ليس بأقوى ولا بأشد، بل يتألم كما يتألم، والفرق في الرجاء والنية والمصير.
٤. الآية لا تختص بساحة القتال، بل تشمل كل موقف يُكلّف فيه المؤمن نفسه:
 - * في الدعوة،
 - * في مقاومة الباطل،
 - * في تحمّل الأذى... فكل ألم يُحتمل برجاء وجه الله، يتحول إلى وسام ثبات في الدنيا ورفعة في الآخرة.

الشاهد السادس عشر

ضحكة تُسخط الله... ومجلس يُنسب لأهله

يقول المؤلف:

* «عن أبي وائل قال: إن الرجل ليتكلم في المجلس بالكلمة من الكذب، ليضحك بها جُلساؤه، فيسخط الله تعالى عليهم جميعاً. قال العوام: فذكرت ذلك لإبراهيم (النخعي)، فقال: صدق، أو ليس ذلك في كتاب الله عزَّجَلَّ؟

ثم قرأ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]

التأملات:

* «الآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾، فالاستدلال دقيق، لأن مجرد الجلوس مع المستهزئين والساخرين، دون إنكار، يُلحق الجالس بهم في الإثم».

■ الفوائد:

١. الكلمة التي يُراد بها الإضحاك بالكذب قد تُسخط الله لا على المتكلم فقط، بل على المجلس بأكمله، ما لم يُنكروا عليه.
٢. فهم إبراهيم النخعي للآية يبيّن أن الساكت عن الباطل شريك فيه، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾. فالسكوت نوع من الرضا، والرضا بالمنكر مع القدرة على الإنكار من أعظم ما يُغضب الله.
٣. يُستفاد من هذا الشاهد أدبٌ عظيم في المجالس: لا تجامل في الباطل، لا تضحك على كذبة، ولا تصبر على من يخوض في الدين أو يسخر من الآيات، فإن المجلس يُكتب ويُشهد ويُحاسب عليه الجالسون.
٤. كثير من المزاح الدارج اليوم، خاصة في الوسائط، قد يتضمن كذباً أو سخرية من الدين أو إشارات غير لائقة، ويظنه الناس خفيفاً، وهو عند الله من الكبائر المهلكة.



الشاهد السابع عشر

ميزان القبول... ليس بكثرة العمل بل بتقوى القلب

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما قلَّ عملٌ مع تقوى، وكيف يقل ما يُتقبَّل؟»

✽ وعن هشام بن يحيى الغساني، عن أبيه، قال: جاء سائل إلى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقال لابنه: أعطه دينارًا.

فلما انصرف، قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه.

فقال ابن عمر: لو علمتُ أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة بدرهم، لم يكن غائب أحب إليّ من الموت!

أتعدني ممن يتقبل الله؟! ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

✽ التأمّلات:

✽ «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: آية ٢٧]،

وإن ورد في قصة ابني آدم، إلا أن السلف فهموا أن حكمه عام، وأن القبول الإلهي مرتبط بالتقوى، لا بكثرة العمل.»

* تشير إلى أن التقوى هي التي ترفع القليل وتباركه وتُنمّيه، فهي بمثابة القلب للبدن، والنية للعمل.

■ الفوائد:

١. القبول عند الله ليس بالكمّ، بل بالتقوى، فربّ عمل قليل سبق آلاف الأعمال؛ لأن صاحبه كان أتقى وأخلص.
٢. السلف استدلوا بآية في قصة ابني آدم، ليعمّموا معناها على كل عمل في الأمة، وهو من دلائل فهمهم العميق لطبيعة النص القرآني، وأنه توجيه عام لا يُحصر في المناسبة.
٣. قول ابن عمر: «لو علمت أن الله تقبل مني سجدة...»، يكشف عن خوف السلف من عدم القبول، رغم أعمالهم الجليلة، وهذا علامة إخلاص وورع وخشية.
٤. كلام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُرَبِّي النفس على أن التركيز ليس على كثرة الأفعال، بل على صفاتها وتقواها، ف«كيف يقل ما يُتقبل؟» عبارة تبني وعياً جديداً في مفهوم العبادة.



الشاهد الثامن عشر

اللعب بالدين... متى يُقطع حبل التوبة؟

يقول المؤلف:

* «عن يزيد بن أبي حبيب، أن أبا علي الهمداني حدّثه أنهم كانوا مع فضالة بن عبيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في البحر، فأُتِيَ برجل من المسلمين قد فر إلى العدو، فأقاله الإسلام (أي قبل توبته) فأسلم، ثم فرّ الثانية فأُتِيَ به فأقاله الإسلام، ثم فرّ الثالثة، فأُتِيَ به، فأقرع عليه هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧] ثم ضرب عنقه».

التأملات:

* «هذا رجل ارتد ثلاث مرات، وكل مرة يعود ثم ينكث، فلما بلغ الثالثة، استدل فضالة بالآية، ورأى أنه يتلاعب بالدين ويخدع المسلمين، فُضِرت عنقه.

* لكن ذكر بعض المحققين - كابن سعدي - أن الآية فيمن يتلاعب عن هوى، لا فيمن يتوب توبة صادقة، ولو تكرررت، فالله يقبل التوبة الصادقة ما لم يُغرغر العبد، لقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

■ الفوائد:

١. الردة المتكررة إذا اقترنت بقرائن التلاعب والخداع، وتهديد أمن المسلمين، فإن ولي الأمر له أن يقطع هذا الباب حفاظاً على الدين والمجتمع.
٢. الآية: ﴿ثُمَّ أَزْوَاجُكُمْ﴾ تدل على من أصرّ واستمرّ وزاد كفره عمداً عن علم ورفض للهدايات، لا على من يُذنب ثم يتوب بصدق.
٣. التوبة الصادقة مقبولة ولو تكررت، وهذه قاعدة كلية في الشريعة، لكن متى ثبت أن التوبة ذريعة وتلاعب، فإنها لا تُحترم ولا تُقبل من جهة الشرع والسياسة.
٤. لا بد من التمييز بين من يتوب بصدق، ومن يُظهر التوبة ويتخذها وسيلة للخداع، وهذا يُراعى فيه حال الشخص، وقرائن فعله، وسياق الأحداث.
٥. فضالة بن عبيد رضي الله عنه اجتهد في تطبيق النص على الواقع، واستعمل سلطته كقائد في ظروف الحرب، مما يُظهر مرونة الشريعة في مواجهة خطر الداخل والخارج.



الشاهد التاسع عشر

لما لا تنهيكم آية؟! تأمل في «ولا تقتلوا أنفسكم»

يقول المؤلف:

* «عن الشعبي، قال: قال لي مسروق: رأيت لو أن صفين اصطفوا للقتال، فشق السماء ملكٌ فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: آية ٢٩] أترى أنهم سيكونون متحازبين (أي متوقفين عن القتال)؟

قلت: نعم، إلا أن يكونوا حجارة صمًا.

قال: فوالله لقد نزل بها صفيه من الملائكة على صفيه من بني آدم، ولأن يؤمنوا بالغيب خيرٌ لهم من أن يؤمنوا بعد أن يعاينوا».

التأملات:

* «هذا استنباط دقيق وعميق من مسروق، حيث شبه قتال المسلمين بعضهم بعضًا بقتل النفس، مستدلًا بآية: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾».

- * وقال: لو نزل ملك من السماء بهذه الآية، فهل سيتوقفون؟
- * والشاهد: أنهم لا يتوقفون إلا إذا تجردوا من العقول والقلوب، لأن الله أنزل هذا القرآن على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو خير من كل ملك، فالإيمان بالغيب أعظم وأجدر من انتظار معاينة الملائكة والآيات».

■ الفوائد:

١. الآية: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾** تفهم عند السلف فهماً واسعاً، يشمل تحذير الأمة من أن يُقتل بعضهم بعضاً، وكأن قتل المسلم لأخيه هو قتل لنفسه من حيث الأصل والمال.
٢. قول مسروق: «ولأن يؤمنوا بالغيب خيرٌ لهم...» قاعدة قرآنية عظيمة، وهي أن الإيمان بالغيب أشرف من الإيمان بعد المعاينة، لأنه إيمان مبني على تسليم وثقة، لا على اضطرار ورؤية قهرية.
٣. سؤال مسروق للشعبي كان على سبيل التمرين العقلي والتحفيز التربوي، ليقول له: إن كنت تؤمن أن رؤية الملك ستمنعهم، فاعلم أن القرآن أعظم من رؤية ملك، لأنه كلام الله المنزل على رسوله.

٤. هذا الأثر يعلمنا كيف نُفكر قرآنيًا في الواقع، وكيف نُسقط آيات الله على النزاعات المجتمعية والسياسية والأخلاقية، لا كوعظ عابر، بل كحكم رباني حيّ.



الشاهد العشرون

حين تلتقي المغفرة بالنعمة... بين آية الفتح وآية الوضوء

يقول المؤلف: ❁

* «عن حُمران بن أبان، عن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين غُفر له».

* قال ابن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث طلبت تصديقه في القرآن، فطلبت تصديق هذا، فوجدته في قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ...} [الفتح: ١-٢] فجعل تمام النعمة أن غفر له ذنبه.

* وقال أيضًا في آية الوضوء: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ... وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] ففهمت من ذلك أن إتمام النعمة في الموضوعين مرتبط بالمشغور، فالوضوء يُطهّر ويُكفّر، فيكون تمام النعمة فيه بالمشغور.

التأملات:

* «هذا استنباط دقيق جداً من ابن كعب، إذ جمع بين آية الفتح التي نصت على أن تمام النعمة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بالمغفرة، ثم ربطها بآية الوضوء التي ختمها الله بقوله: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ وَليُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾».

* فعلم أن الوضوء وسيلة للمغفرة، والمغفرة نعمة تامة، وبذلك يفهم الحديث: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين غُفِرَ لَهُ...» على ضوء هذا التفسير القرآني العميق».

الفوائد:

١. ابن كعب ربط بين المغفرة وإتمام النعمة في موضعين:
 - * في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الفتح)
 - * وفي حق الأمة عبر الوضوء (المائدة)
 وهذا من أبلغ صور فقه الربط بين معاني القرآن والسنة.
٢. الوضوء - مع بساطته - له مكانة عظيمة، لأنه يمهد الطريق للمغفرة والطهارة القلبية، فلا يُستهان به.
٣. قول ابن كعب: «كنت إذا سمعت الحديث طلبت تصديقه في

القرآن»، يعكس منهج الربط والتأمل بين الحديث والقرآن، وهو مسلك من مسالك الراسخين في العلم.

٤. النعمة التامة ليست مألأ ولا صحة، بل أن يغفر الله لك، وهذا يُعيد ضبط مفهوم «النعمة» عند المؤمن، لتكون مرتبطة برضا الله وغفرانه لا بما يراه الناس من ظاهر النعم.



الشاهد الحادي والعشرون

لا تُعمّم ما خصّه الله... فهم السياق يحفظ العقيدة

✽ يقول المؤلف:

✽ «عن يزيد الفقير، قال: قلت لجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنكم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقولون: إن قومًا يخرجون من النار، وإن الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]

فقال جابر: إنكم تجعلون الخاص عامًا، اقرأ ما قبلها. فقرأت، فإذا هي في الكفار».

✽ التأمّلات:

✽ «هذا استنباط دقيق وردّ علمي رصين من الصحابي جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث نبّه على خطأ الاستدلال بالآية على عدم خروج العصاة من النار، لأن السياق واضح أنه في الكفار.

✽ وأشار إلى أهمية فهم العام والخاص في القرآن، وعدم قطع الآية عن سياقها.

* ثم يبيّن أن الصحيح عند أهل السنة: أن من كان معه أصل التوحيد، فإنه وإن دخل النار، فإنه لا يُخلد فيها، بل يخرج منها، بخلاف الكافر الذي لا يخرج منها أبداً.

■ الفوائد:

١. الرد من جابر فيه تعليم لمنهج مهم: لا يجوز تعميم آية نزلت في الكفار لتشمل العصاة من أهل التوحيد، بل يجب الرجوع للسياق لفهم مراد الله.
٢. الآية ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا...﴾ في الكفار فقط، أما عصاة الموحدين فإنهم لا يُخلدون في النار، وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة.
٣. استدلال جابر بالسياق يُبيّن فهم الصحابة المتين للقرآن، فهم لا يقرأون الآية مفصولة عن ما قبلها وما بعدها، بل يقرؤونها في ضوء السياق العام.
٤. هذا الأثر نموذج للرد بالحكمة والبيان على من يخلط بين النصوص، ويُعلّمنا أن نُحسن البيان قبل أن نُحسن الإنكار، فبكلمة «اقرأ ما قبلها» رفع جابر الإشكال كله.

٥. في قول جابر: «إنكم تجعلون الخاص عامًا...» تنبيه هادئ، لا تعنيف ولا تكفير، مما يُعلِّمنا أدب الرد العلمي المبني على الدليل والبيان.



الشاهد الثاني والعشرون

ثلاثة عهود في رقبة الحاكم... لا يتبع هوى، ولا يخاف سوى الله،
ولا يبيع حكم الله بثمن

يقول المؤلف:

* «عن الحسن رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: إِنْ اللَّهُ أَخَذَ عَلَى الْحُكَّامِ ثَلَاثًا:

١. أَلَا يَتَّبِعُوا الْهَوَى

٢. وَأَنْ يَخْشَوْهُ وَلَا يَخْشُوا النَّاسَ

٣. وَأَلَا يَشْتَرُوا بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

* ثم قرأ الحسن: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ

بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [سورة ص: ٢٦]

* وقرأ أيضًا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ

... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ

لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

التأملات:

* «هذا استنباط جميل وبديع من الحسن البصري، حيث جمع بين

ثلاث آيات متفرقة، كلها تتعلق بالحكم والقضاء، واستخرج منها

ثلاثة عهود عظيمة ألزم الله بها الحُكَّام:

- ترك الهوى.
 - خشية الله دون الناس.
 - عدم بيع الدين بالمصالح.
- * وقد جمع الحسن متعلقات الحكم والعدالة، وجعلها في قاعدة واحدة محكمة تُوجِّه سلوك الحاكم وتضبط ميزان الحق».

■ الفوائد:

١. استنباط الحسن يبيِّن أن الحُكَّام مُلزمون بثلاثة قيود شرعية:

* العدل المجرد عن الهوى

* الخشية من الله لا من الناس

* الصدق في تبليغ حكم الله دون مساومة

٢. جمع الحسن بين آية في سورة ص، وآية في المائدة، ليخرج

منها مبدأً تفسيريًّا مركزيًّا: أن كل آيات الحكم تُؤكِّد على هذه

المعاني الثلاثة، وإن اختلف السياق.

٣. هذا الشاهد من أوضح الأدلة على التفسير الموضوعي عند

السلف، حيث جمع الحسن الآيات التي تتحدث عن الحكم

والعدالة وربط بينها في استنباط واحد.

٤. التحذير من بيع الدين بثمان قليل يذكر القاضي والداعية
والعالم أن يحرص على الصدق مع الله لا مع الناس، وألا
يجعل القرآن وسيلة لمصالح دنيوية.



الشاهد الثالث والعشرون

حين يُصبح السلام تطبيقاً قرآنياً حياً

✽ يقول المؤلف:

✽ «ثنى أبو وهب عطية، قال: كنا إذا أتينا الحسن رَحْمَةً اللَّهِ، يقول: حياكم الله بالسلام. ثم يتلو الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا ابْجَهَدَةَ ثَمَّتَابَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأَنْعَامُ: ٥٤]»

✽ التأمّلات:

✽ «هذا الفعل من الحسن البصري تطبيق مباشر للقرآن، حيث كان يُحيي زوّاره وطلّابه بسلام قرآني، يربطه بالآية الكريمة.

✽ وفي هذه الآية دلالة على إكرام المؤمنين، وخاصة الذين يقبلون على العلم والتوبة، لأن السلام هنا ليس مجرد تحية، بل إعلان رحمة وقبول وتقدير».

■ الفوائد:

١. تحية الحسن لزواره بالسلام ليست عادة لفظية، بل اقتداء بالوحي، وكان كل طالب علم عنده هو من الذين يؤمنون بآيات الله.
٢. الآية تدل على أن الله أمر نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يكرم المؤمنين بالسلام والرحمة، فكيف بمن يأتي طالباً للقرآن والعلم؟
فقول: «سلام عليكم» هو بشارة بالعفو والرحمة والتقدير من الله.
٣. كان الحسن البصري يهيبُ مجلسه بسلام إيماني قرآني، ليكون ذلك مدخلاً للرحمة والأدب والتواضع في الطلب والعلم.
٤. ربط الحسن بين السلام والآية التي تتحدث عن عمل سوءاً بجهالة ثم تاب، مما يدل على أن السلام باب قبول ورحمة للتائبين والراجعين.
٥. الحسن البصري لم يقرأ الآية فحسب، بل نزلها على الواقع في حياته وسلوكه، وهذا من أعظم مقاصد التفسير: أن نعيش القرآن واقعاً حياً.

٦. إذا زارك أحدهم، فاستقبله كما استقبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المؤمنين: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾.

السلام ليس مجرد تحية... بل رسالة قبول، وطمأنينة، ومفتاح
لقلوب تحب الله وتؤمن بآياته.



الشاهد الرابع والعشرون

نعم على نار.. إذا رأيت النعمة مع المعصية

يقول المؤلف:

* عن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يَحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيهِ، فَإِنَّمَا

ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ» ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا

بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ

بَغْتَةً فَاذًا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَفُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥]

* قال علي بن المديني - كما في النقل - وقال أبو عبيد: «المبلس:

هو المنقطع الحجة، الأيس من النجاة».

التأملات:

* هذا الحديث تحذير شديد للهجة، أن العطاء قد لا يكون كرامة،

بل استدراجاً قبل الانقضاء، فمن أعطاه الله رغم معصيته،

وتمادى في الذنب، ولم تؤثر فيه النعم، فقد يفتح له أبواب كل

شيء... ثم يُؤخذ بغتة.

■ الفوائد:

١. ليست كل نعمة دليل رضا، فالعطاء قد يكون باب فتنة واستدراج، يُهيأ به العبد للعقوبة.
٢. النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربط الحديث بالآية مباشرة، ليؤكد أن من أعرض عن التذكرة، فُتحت له الدنيا، ثم أخذ على حين غفلة، وهذا أعظم في العقوبة.
٣. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً...﴾ يُشير إلى أن قمة الفرح الدنيوي قد تكون بداية الهلاك الأبدي!
٤. الحديث يُظهر أن الله يمهل، ولا يُهمل، وأن من أصرَّ على المعصية مع النعم، فهو محجوب عن فهم مقصود الابتلاء بالنعم.
٥. المبلس هو اليأس المنقطع، الذي لم يجد حُجَّة ولا نجاة، وليس المقصود فقط الحزن، بل انقطاع الرجاء أمام عذاب مباحث.



الشاهد الخامس والعشرون

حتى البهائم... يوم عدل وحساب!

✽ يقول المؤلف:

✽ عن جعفر بن برقان، ثنا يزيد بن الأصم، قال: سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ما من دابة ولا طائر إلا سيحشر يوم القيامة، ثم يقتصّ لبعضها من بعض، حتى يُقضى للجلحاء من ذات القرن، ثم يُقال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾».

ثم قال: «وإن شئتم فاقروا قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]»

✽ التأملات:

✽ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استنبط من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أن الطيور والدواب تُحشر يوم القيامة، ويُقضى بينها في مظالمها.

■ الفوائد:

١. هذا الأثريين كمال عدل الله **عَزَّوَجَلَّ**، حتى أن البهائم تُقتَصَّ لها ممن ظلمها، وتُردُّ المظالم بينها، رغم أنها غير مكلفة.
٢. استنبط أبو هريرة - وهو من أعلم الصحابة بالسنة - من قوله: **﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾** أن الحشر يشمل كل الخلائق، حتى الطير والدواب.
٣. عندما تُرى البهائم وقد صارت ترابًا بعد الحساب، يتمنى الكافر أن يكون ترابًا مثلها؛ لأنه يرى ما ينتظره من عذاب، ويدرك أن البهيمة انتهى أمرها... أما هو فإلى جحيم باقٍ.
٤. قوله تعالى: **﴿أُمَّمَّ امْتَاكُم﴾** فيه تشبيه بديع يدل على أن لها نظامًا، وحياةً، وحقوقًا، لا تُهمل ولا تُنسى عند من لا يغفل ولا يظلم.
٥. هذه الآية تجعل المؤمن يرتجف قلبه من عظمة الحساب وشموله، ويعلم أن من يُظلم لن يضيع حقه، حتى وإن كان بهيمة لا تتكلم.



الشاهد السادس والعشرون

سجدة على خطي الأنبياء

✽ يقول المؤلف:

✽ عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه كان يسجد في ص ويتلو:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام: ٩٠]

✽ التأمّلات:

✽ سجدة (ص) هل تُسجد عندها أم لا؟

هذه مسألة خلافية بين الفقهاء:

١. مذهب الحنابلة: لا تُسجد، لا في الصلاة ولا خارجها؛ لأنها

سجدة شكر لا تلاوة، والسجود الزائد في الصلاة يبطلها.

٢. بقية المذاهب: يُشرع السجود فيها، كما هو مثبت الآن في

المصحف بسجدة تلاوة.

✽ وهنا إشارة إلى معنى استنباطي لطيف: قوله: ﴿وَحَرَّرَاكُمَا وَأَنَابَ﴾

﴿سورة ص: آية ٢٤﴾.

✽ الفعل «حَرَّ» يدل على السقوط من علو إلى سُفل، ولا يكون

ذلك إلا في السجود لا الركوع، فالركوع نزول خفيف لا يُقال فيه

«خَرَّ»، ولهذا قال في مواضع أخرى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾ [سورة مريم: آية ٥٨].

* ولهذا كان ابن عباس يسجد عند هذه الآية، ويقرأ معها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠] استنباطاً منه أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ سجد، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بالاقْتداء بهم، فيسجد أيضاً.

■ الفوائد:

١. مسألة سجدة (ص) خلافية، ويُرجَّح كثير من أهل العلم - كما في المصاحف - أنها سجدة تلاوة يُشرع فيها السجود للقارئ والمستمع.
٢. لفظ «خَرَّ» يدل على سقوطٍ مفاجئٍ إلى أسفل، ولذلك يُستخدم في السجود لا الركوع، لأن الركوع لا يُسمى «خروراً».
٣. ابن عباس جمع بين سجود داود والأمر بالاقْتداء بالأنبياء في قوله: ﴿فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠] لِيُبين أن سجود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند سجدة داود هو من باب الاقْتداء.
٤. هذا الموضوع يربط بين التكريم الإلهي لداود والاقْتداء النبوي بهدي الأنبياء، مما يُبين وحدة الرسالة وتكاملها.

الشاهد السابع والعشرون

فليتق الله أن ينفى عنه النور

يقول المؤلف:

* عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: «ليتق أحدكم ألا يكون من الله عَزَّجَلَّ في شيء» ثم قرأت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

التأملات:

* هذا استنباط بديع من أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهي من فقيهاة الصحابة.
* والمقصود بـ «ليتق أحدكم» أي: ليحذر أن يكون من أولئك الذين تبرأ الله منهم، فليس بين الله وبين أحد نسب.
* ثم هنا إشارة إلى وجود قراءتين سبعيتين في الآية:

١. قراءة الجمهور: ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾.

أي: جعلوه فرقا وأحزابا ومذاهب متنازعة.

٢. قراءة حمزة والكسائي: ﴿فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾.

أي: تركوه وانفصلوا عنه.

- * كلا القراءتين تحذر من الخروج عن وحدة الدين وأصله الجامع.
- * وقد بينت أم سلمة بقولها أن من فرّق أو فارق دينه، فقد يعرض نفسه لأن يُنفى عن الله ونبيه، لأن الله قال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^١ أي: أنت بريء منهم ومن صنيعهم.

■ الفوائد:

١. كلمة أم سلمة: «ليتق أحدكم ألا يكون من الله في شيء»، تنطوي على أشد صور التحذير: أن يُصبح المرء خارج دائرة النور الإلهي، لاحظ له من الولاة، ولا صلة له برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٢. قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^٢، تدل على أن الافتراق عن أصل الدين موجب للبراءة، فلا يُغتر الإنسان بالانتماء الظاهري دون تمسك حقيقي بأصل الإسلام ووحدته.
٣. التنوع في القراءتين:
 - «فرّقوا» تشير إلى النزاع الحزبي والمذهبي داخل الدين،
 - و«فارقوا» تشير إلى الخروج والانحراف الكلي عن الدين.
 وكلاهما مذموم، وكلاهما سبب للبراءة الإلهية.
٤. استنباط أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يُظهر كيف أن الصحابة كانوا يقرنون الآية بالحال، ويتقون المعنى قبل أن يُصيبهم وعيده.

الشاهد الثامن والعشرون

هل تستحيي كما استحيا أبوك؟

يقول المؤلف:

* عن عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللهُ: «لا يدخل أحد الحمام ولا الفرات إلا بمئزر، ألا تستحيون مما استحيا منه أبوكم؟ حين نزع عنهما لباسهما فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة».

التأملات:

* هذا استنباط دقيق وجليل من عمرو بن ميمون، وهو من كبار التابعين، يربط فيه بين الحياء من كشف العورة، وبين فطرة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن أكل من الشجرة.

* وهنا سؤال: ما المقصود بـ «الحمام»، ويأتي الجواب أنه:

ليس الخلاء (مكان قضاء الحاجة)،

بل هو مكان الاغتسال، وقد كان يحفر تحت الأرض في بلاد الشام الباردة، ويُسخّن فيه الماء، ثم يدخل الناس عراة أو شبه عراة.

* فأنكر عمرو بن ميمون على من يدخلونه بدون مئزر، وقال:

«ألا تستحيون مما استحيا منه أبوكم؟»

■ الفوائد:

١. الحياء من كشف العورة أصل إنساني فطري مغروس منذ خلق الله آدم، ولذلك قال: «استحيا منه أبوكم».
٢. يُؤخذ من هذا الأثر وجوب ستر العورة حتى عند الاغتسال، ما لم تدع الحاجة الطبية أو الضرورة، ويؤكد هذا ما جاء في الحديث: «**احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك**»
[رواه الترمذي، حسن]
٣. ربط التابعي بين مشهد من مشاهد الجنة (خصف آدم من ورقها)، وبين سلوك الناس اليوم، هو دلالة على حياة القلب بالقرآن والقصاص الإلهي، فكان يرى في المشهد المعاصر ظلالاً من مشهد الخلق الأول.
٤. الحياء من كشف العورة ليس من أثر التربية وحدها، بل هو فطرة وغريزة، وما يقع فيه الإنسان من تبرج أو تعرُّ هو خروج عن فطرته الأصلية التي خلقه الله عليها.



الشاهد التاسع والعشرون

إِذَا فَتِحَ عَلَيْكَ... فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

✽ يقول المؤلف:

✽ عن أبي هاشم قال: كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «أن من قبلنا من أهل البصرة قد أصابهم من الخير خير، حتى خفت عليهم».

فكتب إليه عمر: «قد فهمت كتابك، وإن الله عزَّ وجلَّ لما أدخل أهل الجنة الجنة، رضي منهم بأن قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فمُر من قبلك أن يحمدا الله تعالى».

✽ التأملات:

✽ عدي بن أرطاة خاف على أهل البصرة من فتنة الخير والمال، فأرسل إلى الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، فجاء التوجيه الرباني العميق: «مرهم أن يحمدا الله»، لأن الشكر هو سبيل حفظ النعمة ودوامها، كما أن الحامدين في الجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لحمدهم.

■ الفوائد:

١. من أعظم ما يُواجه به فتنة المال والرخاء هو الحمد. والحمد ليس مجرد لفظ، بل هو استحضار أن الفضل من الله، والاهتداء إليه توفيق لا يُنال إلا برضاه.
٢. عمر بن عبد العزيز استنبط من قول أهل الجنة: «الحمد لله الذي هدانا لهذا» أن الحمد هو أعلى مراتب رضا الله عن عبده، وأنه هو مفتاح الرضا في الدنيا، وخاتمة النعمة في الآخرة.
٣. في خطاب عمر إشارة إلى فقه النصيحة والتوجيه من الإمام لرعيته، وأن دور الخليفة لا يقتصر على الإدارة، بل يتعدى ذلك إلى تربية الأمة على المعاني الإيمانية.
٤. الخوف على الناس ليس فقط من البلاء، بل أيضًا من فتنة النعم، فإن النعمة قد تكون سببًا للهلاك إن لم يُقابلها العبد بشكر وتواضع، ولذلك قال الله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].



الشاهد الثالثون

الدعاء... ما بين الرجاء والاعتداء

✽ يقول المؤلف:

✽ عن مولى لسعد: أن ابناً لسعد بن أبي وقاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كان يدعو في صلاته: «اللهم إني أسألك الجنة» وبدأ يعدد من ثمارها، ونعيمها، وأزواجها...

ويقول: «وأعوذ بك من النار» وبدأ يذكر سلاسلها، وأغلالها، وسعيرها...

فسكت عنه سعد، فلما فرغ من صلاته قال له: «لقد سألت الله نعيماً طويلاً، وتعوذت به من شر طويل، وإني سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء»

✽ وإن بحسبك أن تقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ثم قرأ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

[الأعراف: ٥٥]

التأملات:

* وجه الاستشهاد أن الدعاء ينبغي أن يكون بالمأثور، وألا يتوسع العبد في التفصيل والاعتداء اللفظي، بل يكون دعاؤه جامعاً، خاشعاً، متأسيماً بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفوائد:

١. من آداب الدعاء الاقتصار على المجمل النافع، والابتعاد عن الإسهاب الممل.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي» [رواه البخاري ومسلم]

فكيف بمن يُطيل ويفصّل في كل صغيرة وكبيرة!

٢. الآية: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

[الأعراف: ٥٥] تجمع بين أدب السر والخشية، والتحذير من الإفراط والغلو في الدعاء.

٣. الميزان في الدعاء: أن تدعو دعاء الخائف الراجي، لا دعاء الواصف المتفصّل.

فليس المقصود في الدعاء أن تصف الجنة والنار، بل أن تتوجه لله بقلب منكسر يريد النجاة والفوز.

٤. ابن سعد دعا، وسعد سكت عنه أولاً، ثم وجهه بعد الصلاة، وهذا من فقه الإنكار والتعليم بالتدرج، وهو أدب تربوي في النصيحة.



الشاهد الحادي والثلاثون

حين يسكت الغضب... يبقى الهدى

✽ يقول المؤلف:

✽ عن مجاهد: أن سعيد بن جبير قال: «كتب الله عزَّجَلَّ لموسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ في الألواح الموعظة وتفصيلاً لكل شيء، فلما ألقاها فتكسرت، بقي الهدى والرحمة وذهب التفصيل، ثم قرأ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وقرأ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤]»

✽ التأملات:

✽ كأن سعيد بن جبير أراد أن يستنبط بالجمع بين الآيتين أن الألواح أولاً كانت شاملة للموعظة، الهدى، الرحمة، التفصيل،
✽ لكن حين غضب موسى وألقى الألواح فتكسرت، بقي منها الهدى والرحمة، وذهب التفصيل، كما يظهر من اختلاف التعبير بين الآيتين.

■ الفوائد:

١. القرآن أشار إلى محتوى الألواح أولاً بقوله: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ثم قال لاحقاً: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤] فهذا يُشعر بأن بعض ما في الألواح قد فُقد حين أُلقيت، وهذا من بلاغة الإشارة بالاختصار لا بالتصريح.
٢. هذا الربط بين الآيتين هو نموذج للتفسير الموضوعي، أي جمع الآيات في الموضوع الواحد لفهم المعنى الكامل، وهو منهج السلف في التفسير.
٣. غضب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وإن كان لله - حال بينه وبين الهدوء الذي يُرجع البصيرة. فلما سكت الغضب، عاد إلى الأخذ بالألواح.
٤. فالمعنى: حين يسكت الغضب... يعود العقل ويظهر النور. الغضب قد يفضي إلى خسارة شيء من الخير، كما فقد تفصيل التوجيهات. فمهما كانت المبررات، فكبح الغضب مفتاح للثبات والبقاء على الهدى.



الشاهد الثاني والثلاثون

حين يسكت القرآن... يبكي العلماء

✽ يقول المؤلف:

✽ عن عكرمة: «دخلت على ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يوماً وهو يبكي،

والمصحف في حجره،

فقلت: جعلني الله فداك ما الذي يبكيك؟

قال: هؤلاء الورقات، فإذا هو في سورة الأعراف، وذكر أصحاب

السبت، ثم ذكر حديثهم في الحيتان بطوله، وقال فيه: فصاروا

ثلاثة فرق:

- فرقة أخذت الحيتان.

- وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت.

- وفرقة لم تأخذ ولم تنه.

ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ

عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ...﴾ [الأعراف: ١٦٥]

ثم قال: فأرى الذين نهوا قد نُجِّوا، والآخرين لم يُذكر عنهم

شيء!«

التأملات:

- * ابن عباس وقف متأملاً عند الذين سكتوا، فلم يأخذوا ولم ينهوا، وسأل: ما مصيرهم؟
- * فسكوت القرآن أبكاه، وأقلقه أن يكون هذا السكوت دليل خذلان أو ريبة،
- * لكن الراجح أن السكوت عنهم قد يدل على أنهم لم يرضوا، ولكنهم لم يقوموا بواجب الإنكار، فهم بين النجاة والهلاك.

الفوائد:

١. ابن عباس استدل بسكوت القرآن عن ذكر مصير الفرقة الثالثة، وهذا من دقة السلف في ملاحظة البيان والسكوت. فهم يخافون من سكوت الله عن قوم أكثر من ذكره عذابهم!
٢. ليس فقط من فعل المعصية يعاقب، بل حتى من سكت عن المنكر ولم ينكره، والقرآن أنجى المنكرين، وأهلك الظالمين، وسكت عن الساكتين.
- فهل يكون السكوت عنهم سكوت رضا؟ أم إهمال؟
٣. هذه الآية دليل أن ترك الإنكار قد يلحق الإنسان بأهل المعصية ولو لم يشاركهم.

فالعبرة ليست فقط بعدم الفعل، بل بالموقف.

٤. سُكوت القرآن له دلالة، فالآيات قالت: ﴿أُنجَيْنَا الَّذِينَ

يَنْهَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٦٥] ولم تقل: «وسكتنا عن الباقيين»،

فذلك باب خوف وتأديب وتدبر.



الشاهد الثالث والثلاثون

وكان وقافاً عند كتاب الله

✽ يقول المؤلف:

✽ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من جلساء عمر من أهل العلم، فقال عيينة لعمر: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ أن يقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبِيِّهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾»

[الأعراف: ١٩٩]

قال: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.»

✽ التأملات:

✽ هذا تطبيق فوري للقرآن من الصحابة، وعمر مثال في التحاكم إلى النص والوقوف عنده بلا تردد، حتى وإن كان الأمر يخص كرامته ومكانته كخليفة!

■ الفوائد:

١. من صفات المؤمن الحق أن يكون «وقافاً عند كتاب الله»، أي إذا بلغه أمر الله وقف عنده، ولم يتجاوز بهواه أو غضبه أو مزاجه.
٢. الآية في سياق التعامل مع الجاهلين، ومنه يُفهم أن من يجهل الأدب أو يتجاوز الحدود يُعرض عنه لا يُجَارَى.
٣. من أصول القيادة في الإسلام: كظم الغيظ عند الجهّال، وعدم الرد على كل إساءة، وإنما ضبط النفس بحكمة الوحي.
٤. القرآن ليس مجرد تلاوة، بل هو منهج تفاعل حيّ، وهذا ما فعله عمر، جعل الآية موقفاً حياً في لحظة غضب.



الشاهد الرابع والثلاثون

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾

✿ يقول المؤلف:

* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن النعمة تُكفر، وإن الرحمة تُقطع،
وإن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بينها لم يؤخرها
شيء أبداً، ثم قرأ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]»

✿ التأملات:

* استشهاد ابن عباس بهذه الآية فيه بيان أن تأليف القلوب فضل
إلهي، وأن صلة الرحم ودوام النعمة والرحمة لا يتمان إلا إذا أذن
الله بالتأليف والمودة.

■ الفوائد:

١. التأليف بين القلوب من فعل الله وحده، لا يتحقق بالمال ولا
بالوسائل البشرية فقط، بل هو نعمة ربانية يضعها فيمن يشاء.

٢. حتى صلة الرحم قد لا تدوم إلا إذا أَلَّفَ اللهُ بين القلوب، ولهذا لا يُعوَّل على القرابة فقط بل يُسأل الله التأليف والثبات.
٣. الآية نزلت في المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، ولكن ابن عباس استنبط منها حكمًا عامًا: أن التأليف الرباني يتجاوز كل الأسباب.
٤. إذا رأيت بيتًا أو مجتمعًا قد اجتمعت قلوبهم رغم اختلاف طباعهم، فاعلم أن ذلك ليس حسن تدبير فقط، بل توفيق من الله.



الشاهد الخامس والثلاثون

عمل يسير والعاملون به قليل

✽ يقول المؤلف:

✽ عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: «إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم كل واحد منهما إلى صاحبه تحاتت ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة.

فقلت لعبده: إن هذا ليسير!

فقال: لا تظن ذلك.

يقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ

قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الأنفال: آية ٦٣].

قال: فعرفت أنه أفقه مني».

✽ التأملات:

✽ بين مجاهد أن مجرد اللقاء الحسن بين المؤمنين فيه مغفرة

للدنوب، ولكن عبدة فطن إلى أن هذا اللقاء ليس أمرًا يسيرًا كما

يُظن، بل هو توفيق إلهي لأن كثيرًا من الناس لا يتبسم ولا يصفح

ولا يسلم أصلاً.

■ الفوائد:

١. حُسن الاستقبال والتبسم والمصافحة بين المسلمين سبب لمغفرة الذنوب، وهو عمل يسير في الظاهر عظيم في الأثر.
٢. الألفة القلبية التي تجعل هذا التعامل الجميل ممكناً لا تحصل إلا بتوفيق الله، كما في قوله: ولكن الله ألف بينهم.
٣. ليس كل من لقي أخاه صافحه وبش له، فكم من الناس يلقاك بجفاء أو تجهم، مما يدل على أن القلوب بيد الله.
٤. قول عبده لمجاهد: فعرفت أنه أفقه مني، يدل على أن الفقه الحقيقي هو فهم دلالة القرآن على دقائق المعاني الخفية.



الشاهد السادس والثلاثون

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]

يقول المؤلف:

* عن سفيان عن منصور، قال: «سألت إبراهيم النخعي عن لعن الحجاج وضربائه من الناس، فقال: ألا تسمع قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾».

التأملات:

هذه مسألة فيها تفصيل:

١. اللعن العام: يجوز مثل قولك: لعنة الله على الظالمين، لعنة الله على الكافرين، لعنة الله على اليهود والنصارى... ونحوه.
٢. اللعن الخاص (تعيين شخص باسمه): إن ثبت النص فيه (كمن لعنه النبي **صلى الله عليه وسلم**) فيجوز، أما من لم يرد فيه نص، فيُنظر: إن كان عدواً محارباً مجاهرًا بالأذى والشر، فقد جَوَّز العلماء لعن أمثاله، وإلا فالأولى ترك لعنه والسكوت عنه.

والقاعدة الجامعة: «ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء»

(رواه الترمذي، وصححه الألباني)

■ الفوائد:

١. اللّعن في الشريعة منه المشروع العام، ومنه الممنوع الخاص، ويُحكم على كلِّ بحسب ضوابط الكتاب والسنة.
٢. كثرة اللعن من خصال الفحش وسوء الخلق، ولا تليق بالمؤمن الصادق، بل هي من علامات ضعف الإيمان.
٣. استنباط إبراهيم النخعي من قوله ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ يدل على أن اللعن العام للظالمين مشروع بنص القرآن.
٤. اللعن الخاص لا يُستدل عليه بالعموم، بل يحتاج إلى نص خاص أو تحقق وصف الظلم البالغ العداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥١١/٦):
«واللعنة تجوز مطلقاً لمن لعنه الله ورسوله، وأما لعنة المعين فإن علم أنه مات كافراً جازت لعنته، وأما الفاسق المعين فلا تنبغي لعنته لنهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلعن عبد الله بن حمار الذي كان يشرب الخمر، مع أنه قد لعن شارب الخمر عموماً، مع أن في لعنة المعين إذا كان فاسقاً أو داعياً إلى بدعة نزعاً» اهـ انتهى.



الشاهد السابع والثلاثون

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]

يقول المؤلف:

* عن أبي عثمان النهدي، قال: «كنت مع سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأخذ غصناً من شجرة يابسة، فحته، ثم قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من توضأ فأحسن الوضوء، تحانت عنه خطاياه، كما يتحات ورق هذه الشجرة»، ثم قرأ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَزُلْفَا مَنْ أَلِيلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: آية ١١٤].»

التأملات:

- * هذا ربط حيٍّ وبديع بين مشهد محسوس (تساقط الورق) وبين مشهد غيبي (سقوط الذنوب).
- * ويبيّن أن التحاتّ (السقوط) هو أثر مباشر لإحسان الطهارة، كما أن الورق لا يسقط إلا بعد الفك.
- * أشار إلى خلل شائع: كثير من الناس لا يُحسن الوضوء، فيفقد الأثر الإيماني العظيم المترتب عليه.

■ الفوائد:

١. التأمّل في المشاهد اليومية وربطها بالنصوص الشرعية من علامات حياة القلب وقوة التدبر.
٢. إحسان الوضوء شرط لنيل الفضل المذكور في الحديث، فلا يكفي مجرد الوضوء بل لا بد من إتمامه وإتقانه.
٣. رَبَطَ سلمان الآية بالحديث يدل على أن إقامة الصلاة وإحسان الوضوء من أعظم الحسنات التي تمحو السيئات.
٤. كما تتساقط أوراق الشجر اليابسة بأدنى حتّ، كذلك تتساقط ذنوب العبد التائب بالتوبة والطهارة والقيام بالصلاة.



الشاهد الثامن والثلاثون

القلوب أوعية لا تقبل المزاحمة

✽ يقول المؤلف:

✽ عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: «أصبت أنا وعلقمة صحيفة، فانطلقنا بها إلى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد زالت الشمس أو كادت، فجلسنا بالباب، فقال للجارية: انظري من بالباب.

فقلت: علقمة والأسود.

فقال: ائذني لهما.

فدخلنا، فقلنا: هذه صحيفة فيها حديث حسن.

فقال: هاتها، يا خادم، هاتي الطست واسكبي فيه ماء.

فجعل يمحوها بيده، ويقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾

[سورة يوسف: آية ٣]،

فقلنا: انظر فيها فإن فيها حديثاً عجباً.

فجعل يمحوها، ويقول: إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها

بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره».

التأملات:

- * هذا أثر عظيم في أدب التعامل مع المرويات التي لا تثبت، لا سيما من قصص بني إسرائيل.
- * وفيه بيان أن القرآن فيه الكفاية، وأنه أحسن القصص وأشرفها.
- * ابن مسعود خشي على القلوب أن تمتلئ بغير القرآن فتصدّ عن تدبره أو تتشوش عنه.
- * يشير الشارح أن ما فعله ابن مسعود تربية عملية لتلاميذه: لا تُخالط قلوبهم روايات غير محققة على حساب الوحي المحفوظ.

الفوائد:

١. القلوب أوعية، وما يُلقى فيها يؤثر على محتواها، فمن أشغلها بالقرآن امتلأت نورًا، ومن ملأها بالإسرائيليات والقصص غير الموثوق ضيّع زادها الحقيقي.
٢. ابن مسعود يقدم الميزان القرآني على ما سواه، حتى لو كان الحديث «عجيبًا»، فالميزان هو: هل هو حق محفوظ موثوق أم لا؟

٣. استدلل ابن مسعود بالآية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ لإبطال الحاجة إلى ما سواها من القصص، فهي شافية وافية.
٤. من علامات صلاح القلب: عدم التعلق بما يذهل عن القرآن، ولو كان مسلياً أو بديع العبارة، فليس كل ما يُعجب يُغني.



الشاهد التاسع والثلاثون

منهجية التربية بالقصص القرآني

✽ الآيتان:

✽ الآية الأولى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ...﴾

[الزمر: ٢٣]

✽ الآية الثانية: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣]

✽ يقول المؤلف:

* عن عون بن عبد الله قال: ملّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ملّةً، فقالوا: «يا رسول الله حدثنا»، فنزلت: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

* ثم ملّوا ملّةً أخرى، فقالوا: «يا رسول الله حدثنا شيئاً فوق الحديث

ودون القرآن» (يعنون القصص)، فأنزل الله: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ

أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

التأملات:

* الصحابة لم يملّوا من الحق، وإنما أصابتهم طبيعة النفس البشرية في طلب التنويع.

* الله جَلَّ وَعَلَا وَّجَّهَهُمْ إِلَى أَنْ أَحْسَنَ مَا يُقَالُ هُوَ كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ.

* وإن كانوا يطلبون قصصًا، فأحسن القصص ما نزل بوحي من الله.

الفوائد:

١. القرآن هو الجامع بين الحديث والقصص، فهو أحسن

الحديث وأحسن القصص، فلا يُطلب غيره رغبةً عنه.

٢. طلب الصحابة دليل على رغبتهم في التزود من الحديث، لا

ضعف إيمان، لكنه يكشف حاجة النفس إلى التنويع، ف جاء

القرآن يوجّههم إلى الأكمل.

٣. الاقتران بين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ و﴿نَحْنُ

نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فيه تعظيم لشأن القرآن، وأنه

يحتوي كل ما يشبع العقل والقلب والروح.

٤. ينبغي للمربين والدعاة ألا يغفلوا في حديثهم ومواعظهم

عن أحسن الحديث، فإن فيه القصص، والموعظة، والبيان،

والتوجيه.

الشاهد الأربعون

«أيحسد المؤمن؟»

الآية: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾

[يوسف: ٨]

يقول المؤلف:

* عن حميد قال: قلت للحسن: «أيحسد المؤمن؟»

فقال: «لا أبا لك! ما نسيت بني يعقوب؟!»

قال أبو عبيد: يريد الحسن قول الله: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ

أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨].

فحسدوه على ذلك حتى آل أمرهم إلى ما آل إليه.

التأملات:

* هذا استنباط من الحسن أن الحسد قد يقع من المؤمن، مستدلاً

بحال أبناء نبي الله يعقوب.

* مع أن إخوة يوسف هم من ذرية أنبياء وكان فيهم الخير، إلا أن

الحسد استحوذ عليهم فأدى بهم إلى الإساءة البالغة ليوسف.

■ الفوائد:

١. المؤمن ليس معصوماً من الوقوع في الحسد، لكنه يُعاتب نفسه ويجاهدُها حتى لا يستسلم له ولا يبرِّره.
٢. وقوع الذنب من المؤمن لا يخرجُه من دائرة الإيمان، لكن عليه التوبة؛ فالحسد قد يكون من الكبائر إذا استقر في القلب ودفع إلى الظلم.
٣. الاستدلال بقصة يوسف على واقعية السلوك البشري، وأن الشر قد يصدر حتى من الأقربين، وفي البيوت الصالحة، إن لم يتحصنوا بالرقابة الإيمانية.
٤. الإشارة إلى الخطورة البالغة للحسد، فقد بدأ بإحساس داخلي عند إخوة يوسف، ثم تحول إلى كيد، ثم إلى رمي في الجب، ثم إلى كذب على أبيهم.



الشاهد الحادي والأربعون

من تعلق بشيء وكل إليه

الآية: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ

الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]

يقول المؤلف:

* قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال: لو لا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث، وهي قوله:

﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾».

التأملات:

* هذا حديث مرسل لأن الحسن لم يروه عن صحابي.

* المراسيل من الحسن مقبولة عند كثير من العلماء لأنه ثقة.

* الاستنباط هنا: أن قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾

كان نوع رجاء في المخلوق مع نسيان (في هذا الموضع) التوكل

على الله، فكان ذلك سبباً في امتداد محنته في السجن.

* وهذا لا يدل على نقص في إيمانه أو توحيده، ولكن فيه إشارة إلى

دقة منازل التوكل والتعلق بالله.

■ الفوائد:

١. فيه تنبيه على دقة مقام التوكل، وأن التوجه القلبي للمخلوق دون استحضار الخالق قد يكون سبباً في تأخر الفرج.
٢. المرسل من مراسيل الحسن يُقبل عند كثير من أهل العلم إذا لم يخالف ما هو أثبت منه، ويُنظر في شواهده.
٣. يُفهم من هذا أن ذكر يوسف لصاحبه في السجن كان أمراً طبيعياً بشرياً، لكن لما كان مقام يوسف عالياً، ناسب أن يُعَاتَبَ على هذا.
٤. القلوب التي تتعلق بالمخلوقين قد تُؤخر عنها الإجابة حتى ترجع كلية إلى الله، وهذا من التربية الربانية لعباده المخلصين.



الشاهد الثاني والأربعون

ليست كل دمة دليل صدق

الآية: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]

يقول المؤلف:

* قال الشعبي: جاءت امرأة إلى شريح القاضي تخاصم في شيء، فجعلت تبكي.

فقيل له: «يا أبا أمية، أما تراها تبكي؟»

فقال: «قد جاء إخوة يوسف أباهم عشاءً يبكون».

التأملات:

* هذا من ذكاء شريح القاضي رَحِمَهُ اللهُ، ورباطة جأشه في مجلس القضاء.

* لم يُغتر بعاطفة البكاء، لأنه يعلم أن البكاء قد يُستعمل أحياناً للتأثير العاطفي، وقد لا يكون دليلاً على المظلمة.

* استنبط ذلك من بكاء إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الكذب والمكر في قصتهم.

■ الفوائد:

١. القاضي ينبغي ألا يُخدع بالعواطف الظاهرة، بل يُحكم بالدليل والبيّنة، ولو بكى المدّعي أو المدّعى عليه.
٢. البكاء لا يدل دائماً على الصدق، فإخوة يوسف بكوا، وهم كاذبون، وهذا من دقة القرآن في كشف طبائع النفوس.
٣. الرجوع إلى القرآن في الفهم والتصرف سمة أهل العلم والعدل، كما صنع شريح، فكان يقيس الواقع على أحوال القرآن.
٤. فيه تنبيه على ضرورة التمييز بين المشاعر الحقيقية والمصطنعة، خصوصاً في مواقع التأثير كالقضاء والإدارة والتربية.



الشاهد الثالث والأربعون

فرق بين التوجع وبين التعبد بالاسترجاع

الآية: ﴿يَأْسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]

يقول المؤلف:

* قال سفيان بن زياد العصفري: سمعت سعيد بن جبير يقول: ما أُعطي أحدٌ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (الاسترجاع) إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو أُعطيها أحدٌ لأُعطيها يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال: ﴿يَأْسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ﴾.

التأملات:

* هذه ملاحظة دقيقة من سعيد بن جبير أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُصيب بابنه لم يقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، بل قال: ﴿يَأْسَفُنِي عَلَى يُوسُفَ﴾.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف: آية ١٨].

مع أن الاسترجاع عبادة عظيمة، وذكر خاص بالصابرين عند المصيبة.

* والاستنباط أن الاسترجاع تشريف اختص به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان لأحد من قبله لأُعطيهِ يعقوب، وهو نبي جليل.

■ الفوائد:

١. أسلوب يعقوب في الحزن هو الدعاء والأنين لا الاسترجاع، وهذا يدل على فرق بين التوجع وبين التعبد بالاسترجاع، فالتوجع لا يُلام عليه الإنسان، ولكن الكامل هو الاسترجاع.
 ٢. قوله: ﴿يَأْسَفُنِي﴾ هي أسلوب توجع وألم، وليس من ألفاظ الذكر المأمور بها عند المصيبة، مما يرجح أن الاسترجاع له مكانة خاصة في شريعتنا.
 ٣. فيه إشارة إلى أن من خصائص أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لم يكن في الأمم قبلها، ومنها هذا الذكر (الاسترجاع) عند المصائب.
 ٤. ينبغي للمؤمن أن يتخلق بأخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند المصائب، فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.
- فهي تسلي القلب، وتُرضي الرب، وتحجز اللسان عن الجزع.



الشاهد الرابع والأربعون

طبيعة الحزن المشروع

الآية: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]

يقول المؤلف:

* عن يونس قال: لما مات سعيد بن أبي الحسن حزن عليه الحسن حزناً شديداً، فكلم في ذلك، فقال: ما سمعتُ الله عاب على يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الحزن.

* قال أبو عبيد: يريد بذلك قوله تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

التأملات:

* الحسن البصري كان يحزن على أخيه كما حزن يعقوب على يوسف، فلما لامه الناس، استدل بأن الله لم يعاتب نبيه يعقوب على شدة الحزن، بل وصف حاله فحسب.

* وفي هذا استنباط جميل لطبيعة الحزن المشروع، وأنه لا يُذم إذا لم يصاحبه اعتراض أو جزع.

■ الفوائد:

١. الحزن في ذاته ليس مذموماً، ما دام لم يصاحبه اعتراض على القدر أو تلفظ بالمحرمات، بدليل أن الله لم يذم يعقوب على حزنه حتى ابيضت عيناه.
٢. قوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] يدل على أن يعقوب كتم حزنه في قلبه ولم يشك إلا إلى الله، كما قال لاحقاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].
٣. في هذا دلالة على أن الأنبياء بشرٌ يشعرون ويتألمون ويحزنون، ولكنهم يضبطون انفعالاتهم ويصبرون أنفسهم، وهي أعظم صور القدوة.
٤. الاحتجاج بحال يعقوب في الحزن دليل نضج إيماني وعاطفي عند الحسن البصري، فلم يُنكر العاطفة، ولم يتجاوز في التعبير عنها.



الشاهد الخامس والأربعون

« حين نزل الحسين هرب الكبر وجاء القرآن »

الآية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]

يقول المؤلف:

* عن مسعر بن كدام، عن حدثه، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما: أنه مرّ على قوم من المساكين يأكلون من كسرٍ لهم، فلما حاذى بهم قالوا له: الغداء يا أبا عبد الله، فحوّل وركه ونزل، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم جلس فأكل معهم، ثم قال لهم: «إنكم قد دعوتموني فأجبتكم، وأنا أدعوكم فأجيبي»، قال: فأدخلهم رحله، ثم أقسم على امرأته إلا أتته بكل طرفية خبأتها له، فأتته بذلك، فأطعمهم، وخرجوا.

التأملات:

* الشاهد في هذه القصة قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، فالحسين رضي الله عنه لم يأنف من طعام المساكين، بل نزل إليهم وشاركهم، ثم قابل كرمهم بكرم أعظم، فأدخلهم بيته وأطعمهم من أطيب ما خبأه لنفسه.

* وفي ذلك دلالة على تواضعه وكرمه وتأسيه بالقرآن في أقواله وأفعاله.

■ الفوائد:

١. تواضع الكبار من أعظم أبواب القرب من الله، فالحسين لم يأنف أن يجلس مع فقراء يأكلون كسرًا.
٢. ربط الفعل بالآية يدل على أن القرآن كان منهج حياة عندهم لا مجرد تلاوة.
٣. الكرم ليس في الطعام وحده، بل في المبادرة والعشرة والإكرام الشخصي.
٤. المؤمن يرد الإحسان بالإحسان، فقال: «دعوتموني فأجبتكم، وأنا أدعوكم فأجيبي».
٥. السخاء في البيت نعمة، وشراكة الزوجة في الإكرام من شمائل البيوت الربانية.



الشاهد السادس والأربعون

«عمر وتنزيل الآية على المهاجرين»

الآية: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١]

يقول المؤلف:

* عن العوام بن حوشب، عن حدثه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاءً قال له: «خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أفضل».

ثم تلا الآية: ﴿لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ﴾.

التأملات:

- * هذه من مواقف عمر بن الخطاب التأملية في القرآن، وكان له نظرات عميقة في تنزيل الآيات على الواقع.
- * وقد استدل بهذه الآية على أن ما يُعطى للمهاجرين هو من جزاء الدنيا الذي وعدهم الله به،
- * لكن ما ينتظرهم في الآخرة أعظم وأبقى.

■ الفوائد:

١. تفسير عملي للآية من خلال الموقف: عطاء الدنيا هو وعد الله، لكنه لا يقارن بأجر الآخرة.
٢. تذكير المتلقي بالآخرة عند كل متاع دنيوي، يربّي على الزهد والنية الصالحة.
٣. فقه عمر في تنزيل القرآن على الواقع مثال يُحتذى به.
٤. ربط النعمة بالشكر والإيمان، إذ كان يذكرهم أنها ثمرة هجرتهم في سبيل الله.
٥. البصيرة في توزيع المال: لم يكن عمر يعطي مجرد عطاء، بل يصنع به وعظاً وتزكية.



الشاهد السابع والأربعون

«ميزان العدل في الرد بالمثل»

الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦]

يقول المؤلف:

* عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن ابن سيرين في رجل يذهب بالمال (أي يأخذه ظلماً أو غصباً)، ثم نُصيب له مالاً (أي صار له مال بعد ذلك)، قال: «لا بأس بأن تأخذ منه مثل ما أخذ». ثم قرأ ابن سيرين: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾.

التأملات:

* في هذا فتوى فقهية مبنية على الاستدلال بالآية، وهي جواز ردّ المظالم بالمثل دون زيادة، بشرط القدرة على ذلك وعدم التعدي.

* وقال إن ابن سيرين استند إلى الآية لإثبات أن العدل في العقوبة والمقابلة مشروع، وأن للمظلوم أن يستوفي حقه بقدر ما ظلم.

■ الفوائد:

١. جواز المعاقبة بالمثل دون زيادة، لكن الأفضل هو العفو.
٢. القرآن مرجع في الفتوى الفقهية حتى في النوازل العملية.
٣. مراعاة العدل حتى عند الغضب دليل على الخلق القرآني.
٤. ابن سيرين استحضر الآية مباشرة في موقف عملي، وهو من فقه السلف.
٥. الرد بالمثل لا يعني التشفى، بل إقامة ميزان العدل.



الشاهد الثامن والأربعون

«عليكم بالشفاءين»

✽ الآيات:

✽ الآية الأولى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

[الإسراء: ٨٢]

✽ الآية الثانية: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾

[النحل: ٦٩]

✽ يقول المؤلف:

* عن الأعمش، عن خيثمة قال: قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل».

* ثم علق أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: يريد بذلك

قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الإسراء: ٨٢]، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ

لِّلنَّاسِ﴾ [سورة النحل: ٦٩].

التأملات:


- * تأملوا في دقة التعبير القرآني، إذ جعل العسل شفاءً للناس: أي لجميعهم، مؤمنهم وكافرهم، لأنه دواء جسدي.
- * بينما جعل القرآن شفاءً للمؤمنين فقط: لأنه دواء للقلب والروح، ومن لم يؤمن به لا ينتفع بشفائه.
- * وهذا التفريق يشير إلى عمق بلاغة القرآن وإحكام معانيه.

الفوائد:

١. القرآن شفاء للقلب، والعسل شفاء للجسد، فهما مكملان لبعضهما.
٢. القرآن لا ينتفع به إلا المؤمن، لأنه يتلقاه بالقبول والخشوع والتدبر.
٣. التمييز بين «شفاء للناس» و«شفاء للمؤمنين» مقصود بعناية قرآنية.
٤. ابن مسعود يجمع الطب النبوي بين دواء الروح ودواء البدن في جملة موجزة.
٥. التأمل في دقة الألفاظ القرآنية منهج السلف في الاستنباط.

الشاهد التاسع والأربعون

الفساد العقدي أصل الفساد في الأرض

الآية: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكُتُبِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ 

[الإسراء: ٤]

يقول المؤلف: 

* عن طاووس: كنت مع ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في الحلقة، فذكر أهل القدر، فقال ابن عباس: «أفي الحلقة منهم أحد؟ فأخذ برأسه فأقرأ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا».

التأملات: 

* أن ابن عباس رأى أن إنكار القدر لونٌ من الفساد في الأرض، فاستدل بهذه الآية، حيث ذكر الله تعالى إفساد بني إسرائيل، ووجه الشاهد أن أهل القدر يسرون في طريق مشابه لطريق الإفساد والعلو، إذ يردون أصلاً من أصول الإيمان.

* كما يفهم من قوله: «أخذ برأسه» أي: ليقراً عليه الآيات حُجَّةً عليه ورداً عليه.

■ الفوائد:

١. ردّ العقائد المنحرفة بالقرآن هو منهج ابن عباس والسلف.
٢. الربط بين الفساد العقدي والفساد في الأرض يشير إلى أن البدعة ليست مجرد رأي، بل خراب عام.
٣. ابن عباس لم يكتفِ بالرد العقلي، بل استدلّ بآيات تُصوّر أثر هذا الانحراف على الأمة.
٤. الحلقة العلمية في عهد السلف كانت موطنًا للردّ على الشبهات دون مجاملة.



الشاهد الخمسون

القلوب المغلقة لا يفتحها إلا مفتاح «لا إله إلا الله»

الآية: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ﴿٤٦﴾

[الإسراء: ٤٦]

يقول المؤلف:

* عن أبي الجوزاء رَحِمَهُ اللهُ: إن الشيطان ليأزِمُ بالقلب حتى ما يستطيع أحدهم أن يذكر الله عَزَّجَلَّ.

ألم ترهم في المجلس، يأتي على أحدهم عامة يومه وما يذكر الله إلا حالفاً؟

وما للشيطان من القلب طردٌ إلا قول: لا إله إلا الله.

ثم تلا: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ﴿٤٦﴾

[الإسراء: ٤٦].

التأملات:

* هذا استنباطٌ دقيقٌ وعميقٌ من أبي الجوزاء، أحد تلاميذ ابن عباس،

حيث فقه أن الشيطان يلتصق بالقلب ويمنعه من ذكر الله، فيصبح

الإنسان في مجلس كامل لا يذكر الله فيه إلا إذا أقسم أو حلف.

* وأوضح أن ذكر الله - خاصة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) - هو الوسيلة الوحيدة لطرد الشيطان، واستشهد لذلك بآية تدل على نفور أهل الباطل من ذكر الله وحده، مما يؤكد أثر الذكر في طرد الشياطين والقلوب المريضة.

■ الفوائد:

١. الشيطان يقيم بالقلب ويعيقه عن الذكر، ولا يُطرد إلا بالتوحيد الخالص.
٢. كلمة «لا إله إلا الله» ليست مجرد لفظ، بل هي سلاحٌ ضد الشيطان.
٣. الآية تشير إلى أن النفور من التوحيد علامة على امتلاء القلب بالهوى أو الشيطان.
٤. قلة ذكر الله في المجالس علامة على غفلة القلوب وانتصار الشيطان.

ماذا لو درّبنا أبناءنا على أن تكون هذه الكلمة دائمة في ألسنتهم؟ هل نضمن لهم قلباً مأموناً من الشيطان؟



الشاهد الحادي الخمسون

حال القلوب بعد القرآن بين الزيادة والنقصان

الآية: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]

يقول المؤلف:

* عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ: ما جالس القرآن أحدًا إلا فارقه بزيادة أو نقصان. ثم تلا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

التأملات:

* هذا استنباط بديع من الإمام قتادة، إذ يقرر أن القرآن لا يُجالس بلا أثر:

- إما أن تزداد به إيمانًا وهدى.

- أو تزداد بعدًا وخسرانًا إن لم تتفاعل مع نوره وتؤمن به.

* فالقرآن حجة لك أو عليك، ومن يقرأه أو يجلس في مجلسه لا يخرج كما دخل، بل إما أن يُرفع أو يُخذل.

■ الفوائد:

١. القرآن مؤثر بطبعه، لا يقبل الحياد.
٢. المؤمن ينتفع من كل آية يسمعها أو يتأملها، فتزيده يقيناً وطمأنينة.
٣. الظالم يزداد بالقرآن خسارة لأنه يُعرض عن هدايته فيقوم عليه حجة.
٤. مجالس القرآن ليست للتبرك فقط، بل مسؤولية تُغيّر أو تُثقل الحجة.



الشاهد الثاني الخمسون

العلم النافع هو ما أحيا قلبك

الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴿الإسراء: ١٠٧-١٠٩﴾

يقول المؤلف:

* عن عبد الأعلى التيمي: إن من أوتي من العلم ما لا يُبكيه، لخليقُ
ألا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾.

التأملات:

* من أوتي العلم - سواء علم الشريعة أو القرآن - ولم يتأثر بكلام
الله، ولم يُحرك ذلك فيه وجلاً أو دمعة، فهذا قريب أن يكون
علمه غير نافع.

* فالله نعت أهل العلم الحق بأنهم يبكون ويخشعون ويسجدون
عند سماع الوحي، وهذا من دلائل حياة القلب وتأثره.

■ الفوائد:

١. العلم النافع ما أورث الخشية والانكسار، لا مجرد المعلومات.
٢. القرآن معيار حياة القلب: من لم يتحرك قلبه، فليخش على علمه.
٣. العالم الحقيقي يبكي إذا سمع كلام الله، لأن فيه فهماً، وعلماً، وإيماناً.
٤. من علامات انتفاع المرء بالعلم: رقة القلب، والخشوع، وسرعة التوبة.



الشاهد الثالث الخمسون

قراءة القلب تسبق كثرة الحروف

الآية: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

[الإسراء: ١٠٦]

يقول المؤلف:

* عن عبيد المكتب: قلت لمجاهد: رجلان، قرأ أحدهما البقرة وآل عمران، وقرأ الآخر البقرة فقط، وقيامهما وسجودهما وجلسهما سواء، أيهما أفضل؟ فقال: الذي قرأ البقرة. ثم قرأ: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ...﴾.

التأملات:

* عبيد المكتب سأل مجاهد عن الأفضلية بين من أطال القراءة ومن اقتصر على البقرة مع تساوي الركعات. فأجاب مجاهد أن الأفضل من قرأ أقل ولكن بتمهل وتدبر، مستدلاً بقوله تعالى ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ أي على مهل وتؤدة وتدبر.

* فليس الطول في القراءة هو الأفضل، بل عمق التلاوة وفهمها

■ الفوائد:

١. التفاضل في القراءة لا يكون بعدد الآيات فحسب، بل بعمق التدبر وصدق التلقي.
٢. القرآن نزل مفرقاً وممهّداً للتدبر، فالتعجيل والسرعة تخالف غايته.
٣. من قرأ على مكث وفهم وتأمل، سبق من قرأ أكثر دون وعي أو تدبر.
٤. الخشوع لا يُقاس بطول الوقوف، وإنما بتفاعل القلب مع المقروء.



الشاهد الرابع والخمسون

درع ضد الحسد

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[الكهف: ٣٩]

﴿يقول المؤلف:﴾

* عن هشام بن عروة عن أبيه: أنه دخل بستاناً له فقال: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ

لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

* قال أبو عبيد: يريد قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا

شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

﴿التأملات:﴾

* هذه سنة عملية من عروة بن الزبير، استنبطها من الآية، فكان إذا

دخل بستانه أو رأى شيئاً يعجبه، قال: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

* وقال الشيخ ابن عثيمين: «الأحسن إذا كان الإنسان يخاف أن

تصيب عينه أحداً لإعجابه به أن يقول: تبارك الله عليك؛ لأن

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال للرجل الذي أصاب أخاه بعين:

(هلا برّكت عليه).

* أما ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فهذه يقولها: من أعجبه ملكه،
كما قال صاحب الجنة لصاحبه قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ
مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]

* وفي الأثر: [من رأى ما يعجبه في ماله فقال: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ﴾ لم يصبه في ماله أذى] أو كلمة نحوها

■ الفوائد:

١. من رأى نعمة في غيره فليقرنها بالتبريك.
٢. هذه الكلمة تجمع التوحيد، والتسليم، وشكر النعمة، ونفي العجب.
٣. هي وقاية من الحسد، وتربية للنفس على إرجاع الخير لله لا للنفس.
٤. التأسى بالقرآن يكون فعلاً وذكراً، لا مجرد تلاوة.



الشاهد الخامس والخمسون

لا تجد عاقاً إلا وجدته جباراً

الآية: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]

يقول المؤلف:

* عن حماد بن سلمة، قال ابن كثير بإسناد لا يحفظه: «لا تجد عاقاً إلا وجدته جباراً»، ثم قرأ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

التأملات:

* هذا استنباط بديع، حيث فهم من الآية أن من برّ بوالديه نزعته منه صفة الجبروت والشقاء، وبالتالي فإن من عاقّ والديه - خاصة الأم - تجد في طبعه الغلظة والقسوة والفساد الداخلي.

■ الفوائد:

١. الآية تشير إلى المقابلة بين البر واللين، والعقوق والجبروت.
٢. البر بالأُم دليل على صفاء القلب وحسن التربية.

٣. الجبروت في النفس يبدأ من العقوق والخروج عن الفطرة.
٤. بر الوالدين ليس فقط خلقاً بل صمّام أمان من القسوة والفساد الداخلي.



الشاهد السادس والخمسون

كم من موقف في حياتنا غلبنا فيه التردد

الآية: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]

يقول المؤلف:

* عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ خلق الله تعالى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أن تقوم الساعة، فوضعت في كفة، ووضع حلم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في كفة، لرجح حلمه بأحلامهم». ثم قرأ: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

التأملات:

* في هذا الأثر دقة الاستنباط، حيث يفهم أبو أمامة من الآية أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلقه الله بعقل ورزاقه وحلم عظيم، حتى لو جمعت عقول بني آدم وأحلامهم لرجحهم حلم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ وصفه بعدم العزم في موطن واحد، فكيف ببقية البشر؟

* فالآية لا تُذم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذمًا مطلقًا، بل تشير إلى موطن ضعف عابر، ومع ذلك كان تقيماً إلهياً يظهر عظمة ميزان الطاعة والابتلاء.

■ الفوائد:

١. في الأثر دلالة على أن قوة العقل وحدها لا تكفي، بل لا بد من عزمٍ يحفظ الإنسان عند الفتنة والابتلاء.
٢. إذا كان آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وهو أبو البشر وأعظمهم عقلاً، قد وقع منه ما وقع، فكيف بغيره من البشر؟!.
٣. من أعظم أسباب السلامة: دوام الافتقار إلى الله، وعدم الاغترار بالعقل أو التجربة أو الحكمة.
٤. الآية تربي المؤمن على التواضع، وأن يعلم أن الثبات نعمة ربانية لا يملكها الإنسان بنفسه.



الشاهد السابع والخمسون

من أعظم أساليب الصيانة للنفس ألا تطيل النظر»

الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]

يقول المؤلف:

* عن يحيى بن أبي كثير: «مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إبل لبني الملوح (أو بني المصطلق) قد عبست في أبوها من السمن، فتقنّع بثوبه ولم ينظر إليها، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾».

التأملات:

* يُظهر هذا الأثر منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تطبيق الآية عملياً، فقد مرّ بشيء من زهرة الحياة الدنيا، مال وفير، نعمة ظاهرة، ولكنه لم يلتفت ولم يتوقف، بل غطى وجهه تأدباً مع أمر ربه، وتحصيئاً لقلبه من الفتنة، وتركية لنفسه عن التعلق بزخارف زائلة.

■ الفوائد:

١. الآية ليست فقط نهيًا عن الحسد أو التمني، بل تربية للنفس على الزهد العملي والنظر بعين الآخرة.
٢. النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طبق الآية واقعًا حيًا، فكان القرآن خلقه في كل تصرف.
٣. رؤية النعمة لا تُعدُّ إثماً، لكن التعلق بها وتمنيها هو موضع الفتنة التي حذرت منها الآية.
٤. هذا الأسلوب النبوي في غض البصر عن زخارف الدنيا أقوى وسيلة لتزكية النفس وتثبيت القلب.



الشاهد الثامن والخمسون

ليس الحب أن تدفنهم بالغطاء بل أن توقظهم للضياء

📖 الآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]

🌟 يقول المؤلف:

* عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان إذا قام من الليل صلى، فإذا كان وقت السَّحر أيقظ أهله وقال: «الصلاة الصلاة»، ثم تأول هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

🌟 التأمّلات:

* هذا من فقه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التربوي في العمل بالقرآن، لم يكتفِ بقيامه لنفسه، بل وسَّع الأثر ليشمل أهل بيته.

* ولفظة «اصطبر» فيها مبالغة في الصبر والثبات، وكأنها تقول: لا تملّ من الأمر، ولا تتعب من التذكير، ولا تنقطع عن التوجيه.

■ الفوائد:

١. عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يرَ أن العبادة خاصة بالفرد، بل مسؤولية جماعية تبدأ من البيت.

٢. التوجيه الإيماني في وقت السحر له أثر بالغ في تثبيت القلوب.
٣. القائد الموفق هو الذي يربط السلوك بالآية، ويجعل القرآن دليلاً عملياً.
٤. هذه الآية ليست للآباء فقط، بل لكل من له ولاية أو تأثير على غيره: معلماً، إماماً، زوجاً، مشرفاً.



الشاهد التاسع والخمسون

اجعل السجود جسراً إلى الفرج

الآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]

يقول المؤلف:

* عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل بأهله ضيق أو شدة أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

التأملات:

* هذا يدل على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجعل الصلاة الملجأ في وقت الشدة، لا فقط وقت الطمأنينة.

* والصلاة هنا ليست مجرد عبادة، بل وسيلة تربوية تهدي القلوب، وتعيد الثقة بالله، وتربط الرزق بالتقوى، لا بالأسباب الظاهرة.


■ الفوائد:

١. علاج الضيق الأسري بالصلاة، لا بالصراخ ولا بالشكوى ولا بالهرب.
٢. ربط الشدائد بالدعاء والقيام منهج نبوي، وليس اجتهادًا شخصيًا.
٣. الآية تفكك القلق من الرزق: لا نسألك رزقًا... نحن نرزقك ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا... نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾.
٤. من يوقن بالعاقبة يثبت في لحظات الشدة: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّاقِي﴾.



الشاهد الستون

« طبيعة الدنيا دار ابتلاء »

الآية الكريمة: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ 

[الأنبياء: ٣٥]

يقول المؤلف: 

* عن أيوب قال: قال رجل لعكرمة بالمدينة: كيف أنت؟

فقال: «بشر، يديّ مشققتان، وأنا كذا وأنا كذا»

ثم يتأول هذه الآية: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

التأملات: 

* كان جواب عكرمة جواب من يعرف طبيعة الدنيا وأنها دار ابتلاء.

* لم يظهر تدمراً، بل فسّر حاله بتدبر قرآني، وعلم أن ما يمر به من

تعب هو اختبار من الله، كما يكون الخير أيضاً ابتلاء.

■ الفوائد:

١. الابتلاء لا يقتصر على المصائب، بل يشمل النعم أيضاً.

٢. العبد المتأمل يربط واقعه بالقرآن، ويرى فيه تفسيراً لأحداث حياته.
٣. الشكوى إذا كانت بنية التفسير والاتعاظ لا تنافي الصبر.
٤. التعب البدني والظروف القاسية قد تكون جزءاً من فتنة الخير والشر معاً، لا دليلاً على غضب الله.



الشاهد الحادي الستون

« من تعلق بشيء عكف عليه »

الآية الكريمة: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢]

يقول المؤلف:

* عن الأصبع بن نباتة قال: مر عليُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ على قومٍ يلعبون بالشطرنج، فقال: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾.

التأملات:

* الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشبههم بالمشركين بل شبهه حال العكوف بحال العكوف.

* والعكوف في اللغة: هو الملازمة والانشغال الطويل والانقطاع للشيء.

* فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم ينظر فقط إلى اللعبة بل نظر إلى:

- هيئة الانشغال والانقطاع والتعلق الذي استولى على الوقت والذهن.

* فاستعار التعبير القرآني لتنبههم لا لتكفيرهم.

■ الفوائد:

١. استخدام ألفاظ القرآن في الزجر والتذكير يدل على قوة الفقه وعمق التدبر.
٢. التشبيه بين التماثيل في الشرك والشطرنج في اللهو يفتح باب التأمل: هل أصبحت بعض الألعاب معبودات عصرية تشغل القلب والوقت؟
٣. الانشغال المطلق باللعب قد يصل حدّ العكوف، والعكوف يدل على الإقامة والمداومة والتعلق القلبي.



الشاهد الحادي الستون

لا تجعل الخوف من الخطأ موجبا للفرار من النفع»

﴿الآية الكريمة: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

[الأنبياء: ٧٩]

يقول المؤلف:

* عن حميد: لما ولي إياس بن معاوية القضاء، دخل عليه الحسن

البرصري وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟

فذكر إياس حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القضاة ثلاثة: اثنان

في النار وواحد في الجنة. قاضٍ عرف الحق فقاضى به فهو في

الجنة، وقاضٍ عرف الحق فجار فهو في النار، وقاضٍ لم يعرف

الحق فقاضى للناس على جهل فهو في النار».

فقال الحسن: إن فيما قص الله من نبأ داوود وسليمان إذ يحكمان

في الحرث... ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حكما وعلما، فأثنى

الله على سليمان ولم يذم داوود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

التأملات:

* إياس بن معاوية كان يخشى الوقوع في القضاء بالجهل أو الجور،
لما في ذلك من الوعيد الشديد.

* فجاء الحسن البصري يرد عليه رداً تربوياً عميقاً، بأن الخطأ في
الحكم ليس دائماً موجباً للنار إن كان صاحبه مجتهداً مخلصاً،
واستشهد لذلك بقصة سليمان وداوود **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**: حيث أصاب
أحدهما، وأخطأ الآخر، ومع ذلك لم يُذم المخطئ لأنه اجتهد.

الفوائد:

١. الخطأ في الحكم ليس مذموماً إذا بُني على اجتهاد وطلب للحق.
٢. ما دام القاضي مجتهداً مؤتمناً على الحق، فأجره محفوظ
وإن أخطأ، كما في قصة داوود.
٣. من صفات الربانية في أهل العلم: عدم اليأس والخوف المبالغ
فيه الذي يشل الإرادة، بل يُدفع بالعلم واليقين.
٤. القرآن يعالج النفسيات، ويرد على القلوب المتعبة بالنور
والطمأنينة.



الشاهد الثاني الستون

من تربي على القرآن يشكولله ... بكلمات أنبيائه

الآية الكريمة: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

قال المؤلف:

* عن ربيع بن كلثوم: دخلنا على الحسن البصري وهو يشتكي

ضرسه، وكان واضعاً يده عليه، ويقول: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّحِيمِ﴾.

التأملات:

* في هذا الأثر استحضار الحسن لآية أيوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، عند أدنى

ألم، وهو ألم الضرس.

* مما يدل على عمق التعلق بالقرآن، وأن الآيات لم تكن تُتلى

فقط، بل تُعاش وتُستحضر في التفاصيل اليومية.

الفوائد:

١. القرآن دواء القلوب والأبدان، وآيات الدعاء تُستخدم في

الشكوى إلى الله، لا للناس.

٢. الحسن يعلمنا أن من حق المؤمن أن يشكو إلى الله لا من الله،
فيكرر كلمات أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.
٣. ربط الأحداث اليومية بالقرآن من أعظم ثمرات التدبر.
٤. في هذا الدعاء تواضع، واعتراف بالضعف، واستعانة برحمة
الله دون اعتراض ولا تبرُّم.



الشاهد الثالث الستون

دعاءهم في النار هو صوت التأخر

📖 الآية الكريمة: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]

🌸 يقول المؤلف:

- * قال محمد بن كعب القرظي: إن لأهل النار خمس دعوات:
- الأولى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأُحْيَيْتَنَا آتَيْنِي فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [سورة غافر: آية ١١].
- فأجابهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [سورة غافر: آية ١٢]
- فقالوا: ما يأسنا بعد. . ثم قالوا
- الثانية: قالوا ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: آية ١٢].
- فأجابهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة: آية ١٣]
- فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: الآيات ١٣-١٤].

- فقالوا ما يأسننا بعد. . ثم قالوا
- الثالثة: قالوا ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [سورة فاطر: آية ٣٧].
- فأجابهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [سورة فاطر: آية ٣٧].
- فقالوا ما يأسننا بعد .. ثم قالوا
- الرابعة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [سورة إبراهيم: آية ٤٤].
- فأجابهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: الآيات ٤٤-٤٥].
- فقالوا ما يأسننا بعد ثم دعوا الخامسة
- الخامسة: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآيات ١٠٦-١٠٧].
- قيل لهم: ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [سورة المؤمنون: آية ١٠٨]
- فأيسوا، فلم يدعوا بعدها أبداً.

التأملات:

* هذا الأثر يلخص حوار أهل النار مع ربهم، وما فيه من الرجاء والاعتراف، ولكن كل مرة تقابلهم حجج قاطعة وتذكير بأن كل شيء قد بلغهم في الدنيا: النذير، والعمر، والبيان، والرسالات.

* حتى إذا تكرر منهم الرجاء وتبدل لسانهم من تكبر إلى تضرع، جاء الجواب الفاصل: ﴿قَالَ أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [سورة المؤمنون: آية ١٠٨].

* وهنا انقطع الرجاء وخاب الأمل.

الفوائد:

١. الرجاء لا ينفع بعد فوات الأوان؛ فالباب مفتوح في الدنيا فقط.

٢. كل مرة كانوا يرجون، ولكن الجواب الإلهي يحمل تذكيراً سابقاً بأنهم أعرضوا.

٣. هذا الأثر يوضح كيف أن الكلمة الأخيرة في الحوار يوم القيامة لله وحده.

٤. يدل على عمق الحسرة، وأن الندم المتأخر لا ينفع، مهما بلغ صدقه.

٥. دعاؤهم في النار تحول من كبر إلى ذلة، ولكن الإيمان الذي جاء بعد الغرغرة لا يُقبل.



الشاهد الرابع الستون

« الكفر أحياناً لا يعلن نفسه »

الآية الكريمة: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥]

يقول المؤلف:

* روى حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: كنت جالساً مع حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال حذيفة: ذهب النفاق، فلا نفاق، وإنما هو الكفر بعد الإيمان.

* فقال ابن مسعود: لم تقول هذا؟ فقرأ حذيفة: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾.

* فضحك ابن مسعود، قال أبو الشعثاء: لا أدري ضحك إعجاب أو استنكار.

التأملات:

* في هذا الأثر حوار عميق بين علمين من أعلام الصحابة: حذيفة المعروف بكشف المنافقين، وابن مسعود الفقيه المتين.

- * قال ابن حجر: الظاهر أن حذيفة لا ينفي وجود النفاق بمعناه، وإنما يُشير إلى تغيير التعامل معه بعد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فزمنه كان فيه تآلف وتثبيت للقلوب، أما بعده فلا حاجة للتألف، بل من ظهر منه شيء أخذ به.
- * وقيل إن مراده أن الخروج عن الإمام وتفريق الجماعة كفرٌ عملي لا يُخفى، فهو «الكفر بعد الإيمان».
- * أما ضحك ابن مسعود، فقد يكون إعجابًا بالتأمل أو استغرابًا من جرأته في التأويل - والراوي لم يجزم.

■ الفوائد:

١. الآية تتحدث عن وعد رباني بالاستخلاف، لكن بشروط: الإيمان والعمل الصالح. فهل فقدنا الشرط، فضاء الوعد؟
٢. قول حذيفة «لانفاق، وإنما الكفر بعد الإيمان» يدل على تحول المجتمعات من مرحلة النفاق المستتر إلى كفر ظاهر معلن في بعض صورها.
٣. الحوار يكشف حيوية النقاش بين الصحابة، وحرصهم على فهم النص بدقة، حتى مع اختلاف وجهات النظر.

٤. ضحك ابن مسعود يعطي درسًا في التوقف عند التأويلات الجريئة، فلا تُسارع إلى تبنيها بلا تثبّت.
٥. النفاق تغيّر شكله، لكنه لم ينقطع، وإنما تبدّل الزمان والموقف، والثابت: أن القلوب هي موضع الابتلاء والفتنة.



الشاهد الخامس الستون

الحكمة قد تخرج من فم فاجر

📖 الآية الكريمة: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]

🌟 يقول المؤلف:

* قال الحكم بن عتيبة: قام رجل في الكوفة يخطب، فأعجب الناس كلامه.

فقال رجل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قد سمعنا من رجل كلاماً ما سمعنا كلاماً يزيد عليه».

فقال ابن مسعود: «إن هذا ليكون الكلام الطيب في قلب الرجل الفاجر، فلا يجد له مستقراً، حتى يلفظه، فيوافق ذلك المسلم، فيضمه إلى ما عنده.

ويكون الكلام الرديء في قلب الرجل الصالح، فلا يجد له مستقراً، حتى يلفظه، فيوافق ذلك الرجل الرديء، فيضمه إلى ما عنده.

ثم قرأ: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ... وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.

التأملات:

- * هذا من دقة فهم ابن مسعود في ربط الواقع بميزان القرآن.
- * فقد بين أن جمال الكلام لا يدل على صلاح القائل، فربّ فاجرٍ ينطق بالحكمة، لا لأنها خرجت من قلب صالح، بل لأنها لفظة عابرة وافقت سمع مسلم فضمّها إليه.
- * وكذلك الصالح قد تصدر منه لفظة غير مناسبة، لا لأنها من طبعه، بل لأنها نُفِرَ منها قلبه وأخرجها، فوافق بها أهل الخبث.
- * ثم ختمها بالآية العظيمة في ميزان الطيب والخبث.

الفوائد:

١. تمييز السلف بين القول والقائل
كان السلف يفرقون بين: كلام يوافق الحق لكنه من فاجر فيؤخذ مع الحذر من قائله، وكلام باطل من صالح: فيرد ويعذر صاحبه إن لم يكن متعمداً ولهذا قالوا: اعرف الحق تعرف أهله ولا تعرف الحق بالرجال.
٢. الحكمة قد تخرج من فم فاجر، لكنها لا تثمر إن لم تجد قلباً طيباً يحتضنها.

٣. القلوب أوعية، والقرآن يقرر: الطيب لا يستقر إلا في قلب طيب.
٤. السماع لا يعني التصديق، بل لا بد من الفلتره بميزان الطيب والخبيث.
٥. هذا الأثر أصلٌ في الردِّ على دعاة الزيف الذين يتكلمون بالحكم ليخدعوا.



الشاهد السادس الستون

مقعداً محجوزاً بين عيني جهنم لهؤلاء»

الآية الكريمة: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢)

[الفرقان: ١٢]

يقول المؤلف:

* عن خالد بن دريك عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى

غير مواليه، أو كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً».

ف قيل: يا رسول الله، أو لها عينان؟

فقال: «أولم تسمعوا قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا

تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾».

التأملات:

١. استدل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الآية على الوعيد الشديد لمن

اقترب هذه الكبائر الثلاث:

* الانتماء لغير أبيه (تزوير النسب).

* الانتساب لغير مواليه (غش الولاء).

* الكذب عليه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (أعظم الكبائر).

٢. واستدل بظاهر رؤية جهنم للناس كما في الآية، فجعلها جواباً بليغاً على سؤال: «أو لها عينان؟»، أي: رؤية جهنم حقيقة، وتغيظها وزفيرها محسوس يُرى ويُسمع.

■ الفوائد:

١. تزوير النسب من كبائر الذنوب، وله تبعات دنيوية وأخروية.
٢. الانتساب للولاء زيفاً وغشاً منافٍ للأمانة والمروءة.
٣. الكذب على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** موجب للنار، ولو لم يكن في الأمر إلا هذا الوعيد لكفى.
٤. جهنم لها إحساس وردّ فعل يدل على شدة غضبها على أهلها.
٥. الاستشهاد بالآيات في بيان العقوبة سنة نبوية تربوية عظيمة.



الشاهد السابع الستون

منتصف النهار يكون قد حُسم فيه المصير

الآية الكريمة: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

[الفرقان: ٢٤]

يقول المؤلف:

* عن سعيد بن جبیر قال: قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يُقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار». ثم قرأ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

التأملات:

* يبين عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سرعة قضاء الله في الحساب يوم القيامة، حتى إن منتصف النهار يكون قد حُسم فيه المصير:

- أهل الجنة قد دخلوا جنتهم.
- أهل النار قد نزلوا دار عذابهم.

* ثم استشهد بهذه الآية العظيمة ليؤكد أن الراحة والمأوى الحقيقي لأهل الإيمان، وأن «المقيل» - وهو وقت الراحة في الظهر - سيكون في الجنة، في نعيم مقيم، وطمانينة لا تزول.

■ الفوائد:

١. إثبات سرعة الفصل الإلهي: فاستقرار أهل الجنة والنار يقع سريعاً بعد بدء الحساب.
٢. كمال قدرة الله وعدله، فمع كثرة الخلق لا يبطئ حسابه سبحانه.
٣. الجنة ليست فقط جزاء بل هي أيضاً راحة وسكينة، أشبه بمقيل هادئ بعد عناء طويل.
٤. الإيمان باختلاف أحوال الناس في الآخرة فالיום نفسه طويل على قوم ويسير على آخرين.



الشاهد الثامن الستون

المطر هو هو، لكن الله يصرفه بين الناس ليذكّره

الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا

كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠]

يقول المؤلف:

* عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ما من عام أقل مطراً من عام، ولكن الله يصرفه حيث يشاء».

* ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

التأملات:

* ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يكشف حقيقة ربانية عظيمة وهي أن كمية المطر لا تتغير كثيراً من عام إلى عام، وإنما الذي يتغير هو توزيعه الجغرافي والزمني، لحكمة إلهية.

* وبهذا يرد على من يظن أن الجفاف أو القحط سببه «قلة المطر»، بينما هو في الحقيقة تصريف إلهي لحمل الناس على التذكر والرجوع.

■ الفوائد:

١. المطر لا يقل، بل يتوزع، فتأخره عنك ليس دائماً «نقص رزق»، بل «رسالة تنبيه».
٢. تصريح النعم وسيلة للتذكير لا للإهلاك فقط: ليعود الناس إلى الله.
٣. الكفر هنا ليس فقط كفرًا بالله بل كفرًا بالنعم، وجحودًا بحكمة الله في التصريف.
٤. الكون يجري وفق حكمة دقيقة، فلا عبث في الأمطار، ولا صدفة في توزيعها.



الشاهد التاسع الستون

الكرم الحقيقي في عفة النفس عن الدنيا

📖 الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۗ﴾ [الفرقان: ٧٢]

✿ يقول المؤلف:

✿ عن إبراهيم بن ميسرة: «بلغني أن ابن مسعود مرّ بلهوٍ معرضاً، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أصبح ابن مسعود أو أمسى ابن مسعود لكريم، ثم تلا: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾».

✿ التأملات:

✿ موقف عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعكس سلوكه النبيل عند مروره باللهو، إذ عرض عنه ولم يلتفت، مما دفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يثني عليه بالكرم الحقيقي. ثم استشهد بالآية، ليبين أن هذا السلوك وصفه الله لأهل الإيمان والكرامة.

■ الفوائد:

١. ابن مسعود من النموذج العملي للقرآن، فقد جسّد المعنى قبل أن يُنزل عليه الثناء النبوي.

٢. اللغو واللغو قد يبتلى به الناس، لكن الكرامة في أن تمر عليه
معرضاً لا مشاركاً.
٣. الكرم الحقيقي ليس فقط في العطاء، بل في عفة النفس عن
الدنيا.
٤. القرآن يثني على من يترفع عن السفاسف، لا فقط من يقوم
بالعظام.



الشاهد السابعون

كيف يُربون أنفسهم وأهلهم على الشكر لا الخوف

الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]

يقول المؤلف:

* عن هشام بن يحيى الغساني، أخبرني أبي: أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «إني بأرض قد كثرت بها النعم، وقد خفت على من قبلي من المسلمين ضعف الشكر».

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: «أما بعد، يا ابن أرطاة، فقد كنت أرى أنك أعلم بالله مما أنت عليه. إن الله تعالى لم يُنعم على قوم نعمة فحمدوه عليها، إلا كان حمدهم أفضل من نعمته. ولو لم تعتبر ذلك إلا بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَايَنَّا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي نعمة أفضل مما أوتي داوود وسليمان؟!»

التأملات: 

* عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يلفت النظر إلى قيمة الشكر ويبين أن الحمد أعظم من النعمة نفسها، لأن الحمد اتصال بالخالق، بينما النعمة متاع فاني.

* واستشهد بأية داوود وسليمان ليقول: هؤلاء أوتوا العلم والملك والوحي، ومع ذلك، كان أول قولهم: الحمد لله.

* فالحمد تاج النعم، وهو الغاية من العطاء لا مجرد التمتع به.

■ الفوائد:

١. الشكر أعلى من النعمة، لأنه يربطك بالمنعم، أما النعمة فقد تشغلك عنه.

٢. العلم من أعظم النعم، لكنه لا يكتمل إلا بالحمد.

٣. عمر بن عبد العزيز يُعلم الولاية كيف يُربون أنفسهم وأهلهم على الشكر لا الخوف.



الشاهد الحادي السبعون

تكرار القتل يُخرجك من الإصلاح إلى الجبروت

📖 الآية الكريمة: ﴿يَمْوَسَّىٰ أْتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: ١٩]

✪ يقول المؤلف:

* عن الشعبي رَحِمَهُ اللهُ: «من قتل اثنين فهو جبار». ثم قرأ: ﴿يَمْوَسَّىٰ أْتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩].

✪ التأملات:

* أراد الشعبي أن يستدل بالآية على أن القتل المتكرر هو سلوك الجبارين، لا سلوك المصلحين.

* واستدل بقول الإسرائيلي لموسى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: لو كررت القتل، خرجت من دائرة الإصلاح إلى الجبروت.

■ الفوائد:

١. القرآن يلفت النظر إلى خطورة تكرار الذنب.
فكأن الشعبي فهم: أن الخطر الحقيقي يبدأ حين يتحول
الذنب من حادثة عارضة إلى سلوك متكرر.
٢. الجبروت يبدأ حين يهون الدم في عين صاحبه.
الإنسان قد يقع في خطأ ثم: يندم وينكسر ويتوب لكن إذا تكرر
الفعل بدأ القلب يعتاد ولهذا صار من يكرر القتل أقرب إلى
وصف (الجبار) لأن الجبار: لا يبالي بالخلق ولا بحقوقهم
ولا بحرمة دمائهم.
٣. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن جباراً حاشاه، ولهذا تاب واستغفر
وندم مباشرة.
وفي هذا إشارة إلى أن المؤمن قد يزل ولكن لا يرضى أن
يتحول الخطأ إلى عادة.
٤. الشعبي يُحسن الاستشهاد بالقرآن في فقه الأخلاق والسلوك.



الشاهد الثاني السبعون

فكم من خطوة للرزق صارت طريقاً إلى الجنة

الآية الكريمة المشار إليها ضمناً ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١١] ﴿[القصص: ١١]﴾

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٢٩] ﴿[القصص: ٢٩]﴾

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٣] ﴿[النمل: ٢٣]﴾

يقول المؤلف:

* عن أبي المليح: «أتيت ميمون بن مهران لأودّعه، وذلك عند خروجي في تجارة، فقال لي: لا تيأس أن تصيب في وجهك هذا في أمر دينك أفضل مما ترجو أن تصيب في أمر دنياك. فإن صاحبة سبأ خرجت وليس شيء أحب إليها من ملكها، فأخرجها الله إلى ما هو خير من ذلك، فهداها إلى الإسلام، وإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج يريد أن يقتبس لأهله ناراً، فأخرجه الله إلى ما هو خير من ذلك».

التأملات: 

* يشير ميمون بن مهران **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلى أن خروج الإنسان في شؤون دنياه قد يكون فيه من الخير الديني ما لم يحتسبه أصلاً، فربما كانت التجارة باباً للهداية، أو اللقاء المادي سبباً لتعلق قلبي بالله.

* وقد ساق مثالين:

- بلقيس خرجت وهي متشبثة بملكها، فعادت مسلمةً لله رب العالمين.

- موسى خرج يلتمس ناراً، فعاد نبياً رسولاً كلمه الله تكليماً.

■ الفوائد:

١. نية الدنيا قد تُثمر خيراً في الدين، فلا تيأس من فضل الله.
٢. أبواب القدر قد تُفتح من أسباب عادية إلى نهايات غير متوقعة.
٣. المؤمن يبحث عن مغنم الدين ولو وسط أسواق الدنيا.
٤. تأمل ميمون في القصص القرآني يدل على فهم عميق في فقه التحولات الربانية.



الشاهد الثالث السبعون

متى كانت آخر مرة غيرت آية شيئاً في حياتنا؟

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]

يقول المؤلف:

* كان ميمون بن مهران صديقاً لسالم البزار، فلما قدم ميمون الكوفة جاء إلى منزل سالم ليسلم عليه، فلم يجده. فقالت له امرأته: إنه قد ترك التجارة. قال: وكيف ذلك؟

قالت: إنه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠]. قالت: فترك التجارة.

التأملات:

* لا يعني هذا أن يفهم من الأثر ذم التجارة أو طلب الرزق؛ فالله عَزَّجَلَّ قال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]. وذكر أن ما عند الله خير وأبقى.

* لكن يُحتمل أن سالمًا قد طالبت به الحياة، وكفاه الله من فضله، فوجد أن الاستمرار في التجارة ربما يبعده عن الذكر أو يشغله عن الآخرة، فاكتمى بما رزقه الله. فهي أولويات، لا تحريم.

■ الفوائد:

١. في الآية دعوة للتفكير في حقيقة الدنيا:
* الدنيا متاع وزينة، مؤقتة.
* الآخرة خير وأبقى، دائمة وعالية الشأن.
٢. تدبّر القرآن قادر على تحريك القلوب وتغيير السلوك.
٣. ليس كل من ترك التجارة مذمومًا، كما أن ليس كل من اشتغل بها ممدوحًا، وإنما العبرة بنية الإنسان ووجهته.



الشاهد الرابع السبعون

لو كانت الصلاة شخصاً يأمرنا: هل نستجيب لأمره؟

الآية: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

يقول المؤلف:

* عن أبي شريح: أنه بلغه أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها».

ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

التأملات:

* مراد ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الصلاة الحقيقية التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، هي الصلاة التي تؤدي بخشوع وبقلب حاضر، وتثمر في السلوك والأخلاق.

* فمن صلى صلاةً صحيحة، أطاعها، أي: استجابت جوارحه لمعانيها، وظهر أثرها عليه، فنهته عن المنكرات.

* أما من يصلي ببدنه دون قلبه، ولا يظهر في سلوكه أثر للصلاة، فقد لم يطع صلاته، فلم تنفعه النفع المقصود.

■ الفوائد:

١. الصلاة ليست غاية شكلية، وإنما وسيلة لتزكية النفس وكفّها عن السوء.
٢. علامة صحة الصلاة: أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.
٣. طاعة الصلاة تكون بـ: حضور القلب، تدبر الآيات، الخشوع، وامتنال الأوامر بعدها.



الشاهد الخامس السبعون

الورع في موطن التولي

الآية ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

يقول المؤلف:

* عن الأوزاعي: أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ عرض عملاً (أي ولايةً أو مسؤولية) على رجل ليتولاه، فأبى. فقال له عمر: «أتعصي؟»

فأجابه الرجل: «يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الله جل ثناؤه، حين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها،

فهل كان ذلك منهن معصية؟» قال عمر: «لا.» فتركه عمر ولم يُلزمه.

* ويضيف أبو عبيد: «وفي غير حديث ابن كثير أن ذلك الرجل هو محمد بن كعب القرظي.»

التأملات:

* الاستنباط هنا دقيق ومؤثر، فقد استشهد الرجل بتأمل عميق في الآية ليدفع عن نفسه تهمة المعصية، فيبين أن الامتناع عن تولي الأمانة خشيةً من التقصير ليس معصية، بل هو ورع وخوف مشروع.

* واقتنع عمر بن عبد العزيز بهذا القياس القرآني البليغ.

الفوائد:

١. الامتناع عن المناصب لا يُعد عصيَانًا إذا كان نابغًا من خوف من التقصير وخشية من الله.

٢. الآية الكريمة دليل على أن حتى السماوات والأرض والجبال أشفقت من الأمانة لعظمتها، فكيف بالعبد الضعيف!

هذا يدل على مكانة الخشية، وعلى أن الورع عن طلب الإمارة محمود.



الشاهد الخامس السبعون

فقه أبو هريرة في نسبة النعمة إلى الله

الآية ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ

لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]

يقول المؤلف:

* عن مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: أنه بلغه أن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان إذا

أصبح والناس قد أصابهم المطر، قال: «مُطِرْنَا بِنَوَاءِ الْفَتْحِ» ثم قرأ:

﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢].

التأملات:

* المتأمل يجد أن أبا هريرة كان يربط نزول المطر برحمة الله لا

بالأنواء (أي النجوم أو الأوقات)، واستشهد بالآية ليدل على أن

الذي أنزل المطر هو الله، وأنه رحمة من رحماته، لا بسبب حركة

كوكب أو ظهور نجم.

الفوائد:

١. المطر من رحمات الله المفتوحة، لا يُنسب إلا إليه.

٢. لا ينبغي نسب النعم الطبيعية للأنواء أو النجوم، بل لخالقها سبحانه.
٣. استخدام الآية يدل على فقه أبي هريرة في نسبة النعمة إلى الله وتنزيه التوحيد.
٤. هذا القول من أبي هريرة يعكس ردًا عمليًا على من كان يعتقد أن المطر يأتي بسبب الأنواء.



الشاهد السادس السبعون

كما نرى الأرض تُحيا بالماء، فكذلك الأجساد

الآية ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]

يقول المؤلف:

* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، فلا يبقى خلق لله في السماوات ولا في الأرض إلا من شاء الله إلامات.

* ثم يرسل الله من تحت العرش منياً كمني الرجل، فتنبت جثمانهم ولحمانهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض.

* ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩].

* ويكون بين النفختين ما شاء الله، ثم يقوم ملك فينفخ فيه، فتنطلق كل نفس إلى جسدها.

التأملات:

- * هذا الأثر من أدق ما ورد في وصف البعث والنشور، ويُظهر: أن النفخة الأولى تفني الخلق جميعًا.
- * ثم تأتي مرحلة إنبات الأجساد من ماءٍ يرسله الله، كالمطر، من تحت العرش.
- * ثم النفخة الثانية للبعث، فترجع الأرواح إلى الأجساد.
- * واستشهاد ابن مسعود بالآية تشبيهٌ بليغٌ: كما تُحيي الأرض بالمطر، تُحيى الأجساد يوم القيامة.

الفوائد:

١. هذا الأثر يؤكد أن الإحياء بعد الموت ليس استعصاءً على قدرة الله.
٢. الآية تعطي برهانًا حسيًّا: كما نرى الأرض تُحيى بالماء، فكذلك الأجساد.
٣. النفختان في الصور تؤسس لعقيدة النفخ - الموت - البعث، وهي مراحل من مراحل الآخرة.
٤. الله يخلق الخلق مرة أخرى من مادة تشبه مني الإنسان، مع تشبيه دقيق بإنبات النبات.

الشاهد السابع السبعون

كلمات تصنع أثراً عظيماً في السماء

الآية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]

يقول المؤلف:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنا إذا حدثناكم حديثاً أتيناكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل.

ثم قال: خمس ما قالهن عبد مسلمٍ إلا قبض عليهن ملكٌ، وجعلهن تحت جناحه، فصعد بهن،

لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلها، حتى يُحيي به وجهه الرحمةُ جل جلاله:

الحمد لله سبحان الله لا إله إلا الله الله أكبر تبارك الله

ثم قرأ ابن مسعود: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

التأملات:

* ابن مسعود لم يكن يذكر شيئاً في الفضائل إلا وعززه بدليل قرآني.

- * وفي هذا الأثر: يظهر أثر الذكر الخالص في السماء: كيف تُقبض الكلمات الطيبة وتُصعد إلى الله.
- * أن هذه الكلمات الخمس ليست ألفاظاً مجردة، بل كلمات تصنع أثراً عظيماً في السماء.

■ الفوائد:

١. الذكر اليسير في اللفظ عظيم في الأثر.
٢. كل من قال هذه الكلمات بإخلاص، نالت كلماته شرف الصعود.
٣. تظهر هنا عناية الملائكة بكلام العبد، فيقبضون عليه ويستغفرون له.
٤. قوله «حتى يحيي به وجهه الرحمة» إشارة إلى قبول الله لهذه الكلمات، وإكرام قائلها.
٥. استنبط ابن مسعود من الآية أن الكلم الطيب يصعد، والعمل يرفعه، فدل على أهمية القول والعمل مجتمعين.



الشاهد الثامن السبعون

ذنبك قد لا تعاقب عليه وحدك بل أحبابك من حولك

الآية ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]

يقول المؤلف:

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كاد الجعل (الخنفساء) أن يُعذَّب في جحره بذنب ابن آدم، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

التأملات:

- * ابن مسعود استنبط من الآية أن شؤم الذنوب يتعدى أثره إلى غير الإنسان، حتى الحيوانات، حتى الحشرات في جحورها!
- * فقله «كاد الجعل يُعذَّب» فيه تصوير بليغ يدل على أن ذنب الإنسان لا يُصيب نفسه فقط.
- * بل يمتد أثره إلى البيئة والمخلوقات من حوله.
- * ولو عاقب الله الناس بعدله، لهلك كل شيء على الأرض، لكن رحمته سبقت غضبه.

■ الفوائد:

١. المعاصي ليست شأنًا فرديًا، بل لها أثر كوني.
٢. الذنوب سبب للبلاء العام والدمار، حتى على غير الجنة.
٣. تأخير العقوبة ليس دليلًا على الرضا، بل من رحمة الله وستره.
٤. الله عَزَّوَجَلَّ يُمهّل ويؤخر، لكنه لا يُمهّل.
٥. حتى أبسط الكائنات (كالجمل) ليست في مأمن من شؤم الذنوب.



الشاهد التاسع السبعون

النبي يتلقى الوحي حتى في منامه

✽ يقول المؤلف:

✽ عن عبيد بن عمير رَحِمَهُ اللهُ: رُؤِيا الأنبياء وحي، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿بِئْسَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [سورة الصافات: آية ١٠٢].

✽ التأملات:

✽ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إذا رأوا في منامهم أمراً من الله، فإنه وحي يجب اتباعه والعمل به، بخلاف عامة الناس.

✽ وما يدل على هذا أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى رؤيا الذبح، عدّها أمراً إلهياً لا يُتردد في تنفيذه، ولم يحتج إلى وحي مباشر في اليقظة يؤكده، لأن رؤيا النبي حق.

■ الفوائد:

١. رؤيا الأنبياء ليست تهيؤات نفسية، بل هي جزء من الوحي والنبوة.
٢. ما دام النبي رأى أمراً من الله في المنام، وجب عليه أن يمثل.

لذلك، لم يساوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه، بل قال له: ﴿إِنِّي أَرَىٰ
فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، أي: هذا أمر إلهي.

٣. من كمال تسليم إسماعيل أنه علم أن الرؤيا حق، فقال: «يا
أبت افعل ما تؤمر».



الشاهد الثمانون

الشیطان یفتن الغافلین... لا الذاکرین

الآیة: ﴿فَاتَّكُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ

الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٣]

❁ یقول المؤلف:

* عن عمر بن ذر: سمعت عمر بن عبد العزیز رَحِمَهُ اللهُ یقول: لو

أراد الله تعالى ألا یُعصى، لم یخلق إبلیس، وإنه لَبِیِّنٌ فی آیة من

کتاب الله: ﴿فَاتَّكُمُ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ

صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٣].

❁ التأملات:

* أراد عمر بن عبد العزیز أن یبیین حقيقة القدر: أن الله خلق إبلیس

مع علمه بما سیکون منه، ولو شاء لمنع المعصية من أصلها،

ولکنه سبحانه خلق الخیر والشر، وهدى الناس النجدين،

وابتلاهم بالاختیار. واستشهد بهذه الآیة التي تبين أن الشیطان لا

یُضِلُّ إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ أَنْ یكون من أهل النار، أي من اختار

الضلال لنفسه واستحققه.

■ الفوائد:

١. إبليس وسيلة اختبار، لا سبب قهري.
٢. الشيطان لا يملك الفتنة على كل أحد، وإنما يفتن من سبقت عليه كلمة العذاب.
٣. الله سبحانه لا يُعصى غلبة، بل لحكمة عظيمة، منها التمحيص والابتلاء.



الشاهد الواحد الثمانون

السماء عامرة بالملائكة لا فراغ فيها

الآية ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ و﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ﴿١٦٦﴾ [سورة الصافات]:

[١٦٥-١٦٦]

يقول المؤلف:

* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما في السماوات سماء إلا وفيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ و﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ﴿١٦٦﴾ [سورة الصافات: ١٦٥-١٦٦].

التأملات:

- * أراد ابن مسعود أن يبين عظمة خلق الله في السماوات، وأنها مليئة بالملائكة العابدين، الراكعين، الساجدين، لا يخلو موضع منها من تسبيح وعبادة.
- * واستشهد بالآية ليدل على أن هؤلاء الملائكة صفوفٌ في الطاعة والتسبيح، في نظام وجلال لا يعلمه إلا الله.
- * ويؤيده حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً أو راعياً».

■ الفوائد:

١. السماء عامرة بالملائكة، لا فراغ فيها.
٢. كل موضع شبر عليه ملك ساجد أو قائم، فأين نحن من هذا التعظيم؟
٣. التسبيح والطاعة هي وظيفة أهل السماوات، وهي أعظم دليل على كمال التوحيد.
٤. الآيتان تدلان على شرف الاصطفاف في الطاعة، لذا شرع الله لنا الاصطفاف في الصلاة؛ تشبُّهاً بالملائكة.



الشاهد الثاني الثمانون

غيرة السلف على ألفاظ الوحي

✽ يقول المؤلف:

✽ عن يحيى بن أبي كثير: أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلى خلف أعرابي فسمعه يقول: «نحج بيت ربنا، ونقضى الدين، وهن يهدين كالقطوات يهدين»، فقال ابن مسعود: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي أَلَمَلَةِ الْأَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا أُوخِلِقُ﴾.

✽ التأملات:

✽ هذه الرواية تُظهر تحريف الأعرابي للقرآن، حيث نسب لنفسه ألفاظاً ليست من التنزيل.

✽ قوله: «القطوات»: جمع قطة، وهو طائر معروف، يُقال إنه لا يضل طريقه، بل إذا سار إلى جهة ثم رجع عاد من نفس الطريق، ويُضرب به المثل في الهداية والرجوع بدقة.

✽ قد يكون الأعرابي أراد معنى جميلاً، لكنه وقع في فاحشة التبديل، فالقرآن لا يُروى بالمعنى، ولا يُدخل فيه ما ليس منه.

* ابن مسعود غضب وعدّ ما فعله الأعرابي اختلاقاً وكذباً على الله، وهو تعبير قرآني شديد في الإنكار.

■ الفوائد:

١. تحريف القرآن، حتى مع حسن النية، يُعد من أعظم المنكرات.
٢. علماء السلف كانوا دقيقين جداً في صيانة ألفاظ القرآن، ولم يتساهلوا في ذلك مطلقاً.
٣. التعبير بالطيور أو الصور البيانية لا يجيز إدخال ألفاظ ليست من الوحي، ولو كانت حسنة المعنى.
٤. قول ابن مسعود ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ دليل على أن التحريف ليس فقط بزيادة المعنى بل حتى بالألفاظ.



الشاهد الثالث الثمانون

الأكوان على الأصابع... فكيف تعظم نفسك؟!

الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٧)

[الزمر: ٦٧]

يقول المؤلف:

* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزَنُ هَزَّةً، وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ!»

فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِمَا قَالَ الْحَبْرُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية. [صحيح

البخاري: ٤٨١١، ومسلم: ٢٧٨٦]

التأملات:

* الحبر - وكان من أحبار بني إسرائيل المهتدين - بين صورة جلال الله وهيمته يوم القيامة بما ورد في كتبهم، فوافق ما في الوحي.

* النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحك تصديقاً لما قاله، لأن ما ذكره الحبر

حق ووافق القرآن.

* ثم قرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآية، ليبين أن هذا المشهد مصدق به

في القرآن الكريم.

* الآية تعبر عن عجز البشر عن تقدير الله حق قدره، وأنهم ما عرفوا

عظمته سبحانه، وجاء هذا الأثر ليجسد هذه العظمة حساً ومعنى.

■ الفوائد:

١. عظمة الله لا يُحيط بها العقل البشري، ومن تدبر هذه الآية

علم أن كل ما نراه من كون عظيم بيد الله صغير هين.

٢. ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية عقب تصديقه لقول الحبر

دليل على موافقة الوحي لما في التوراة الصحيحة، وأن الحق

لا يُرد لأنه من كتاب سابق إذا وافق الوحي.

٣. الضحك هنا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس إنكاراً، بل إعجاباً

بما قاله الحبر وتصديقه، وهذا يدل على سعة علمه وتواضعه

لقبول الحق ممن جاء به.

٤. حمل الخلق والأكوان على الأصابع من صفات الله التي

نؤمن بها على ما يليق بجلاله، من غير تكيف ولا تمثيل.

الشاهد الرابع الثمانون

«نعى القرآن كل حي».

الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]

يقول المؤلف:

* عن ثابت البناني عن صلة بن أشيم رَحْمَةُ اللَّهِ: أنه كان يأكل يوماً، فجاءه رجل فقال: «مات أخوك».

فقال: «هيهات! أظنه قال: نُعي إليّ؟ اجلس فكل».

فقال الرجل: «ما سبقني إليك أحد!»

فقال صلة: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ﴾».

التأملات:

* صلة بن أشيم رَحْمَةُ اللَّهِ لم يُفاجأ بالخبر، لأنه مُوقِنٌ بوعد الله وقدره، ويعلم أن الموت حق على كل نفس.

* تلاوته للآية عقب سماع النبأ ليست تبريراً بل موقف إيمان ورضا وتسليم، حيث ردّ الأمر كله إلى كلام الله.

* هذا يدل على رسوخ الإيمان، وسعة العلم، وقوة اليقين بالآخرة، وهي ثمرة ملازمة القرآن وتدبره.

■ الفوائد:

١. من قرأ القرآن بصدق، هيأه الله لقبول أقداره، فيكون قلبه مستسلمًا، ولسانه ذاكرًا، وعقله حاضرًا.
٢. صلاة لم يجحد حزنه، لكنه قدّمه تحت مظلة الرضا والتسليم، وهذا من أعظم صور الإيمان.
٣. في قوله «اجلس فكل» ليس استخفافًا بالموت، بل ثباتًا ويقينًا أن الأمر لله وحده، وأن هذه الدنيا فانية لا تستحق الجزع.
٤. الآية تعلّمنا التسليم بالموت كحقيقة كونية، وليس كفاجعة شخصية.



الشاهد الخامس الثمانون

« نحن أخوان فكيف نختصم؟ ».

الآية ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣١]

يقول المؤلف:

* عن إبراهيم النخعي قال: أنزلت هذه الآية: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴾، فقالوا: ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان؟

فلما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالوا: هذه خصومتنا.

التأملات:

* في بداية نزول الآية، استغرب الصحابة منها، وقالوا: كيف نختصم ونحن إخوان متحابون في الله؟

* ولكن بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما جرى بعده من الفتن، علموا أن الاختصام وارد حتى بين المسلمين.

* الخصومة يوم القيامة ستكون في كل مظلمة، دمًا كان أو مالا أو عرضًا، ولو بين من كانوا في الدنيا إخوانًا.

■ الفوائد:

١. تدل الآية على أن العدل الإلهي يشمل حتى نزاعات أهل الإسلام، ولا يُغلق ملف الخصومة بمجرد الأخوة أو النوايا الطيبة.
٢. الصحابة استوعبوا معنى الآية بعد أن عايشوا الفتنة، فأدركوا أن الأخوة لا تمنع المؤاخذة في الحقوق.
٣. في هذا استبصار مبكر من إبراهيم النخعي لواقع الأمة، وهو تنزيل عميق للآيات على الحوادث التاريخية.



الشاهد السادس الثمانون

حين ترفع يديك... أنت تعبد

الآية ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]

يقول المؤلف:

* عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

التأملات:

- * بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لبّ العبادة وروحها هو الدعاء، فهو تذلل، فقر، واعتراف بالعجز.
- * ثم استدل بالآية الكريمة، التي جعلت ترك الدعاء استكباراً عن العبادة.
- * فمن لم يدعُ الله - لحاجته أو جهله أو غروره - فقد استكبر، وماله إلى الهوان في نار جهنم إن لم يتدارك نفسه.

■ الفوائد:

١. الدعاء ليس وسيلة فقط، بل هو غاية في حد ذاته؛ لأنه يحقق التوحيد والانكسار لله.
٢. الآية تربط بين ترك الدعاء والكبر عن العبادة، فكل تاركٍ للدعاء فيه شيء من الاستغناء الباطل.
٣. ليس كل من لا يدعو كافرًا، لكن كل من استكبر عن الدعاء خرج عن وصف العبودية الصافية.



الشاهد السابع الثمانون

رحمة السماء... وغلو الأرض

الآية ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥]

يقول المؤلف:

* عن إبراهيم النخعي: كان أصحاب عبد الله (ابن مسعود) يقولون: الملائكة خير من ابن الكواء، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض، وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر.

التأملات:

* الملائكة أهل طهر لا يعصون الله، ومع هذا يستغفرون لأهل الأرض.

* بينما ابن الكواء الخارجي، الذي كان من الخوارج أصحاب الغلو والتكفير، يجترئ على عباد الله ويتهمهم بالكفر، رغم صلاحهم.

* المقارنة تكشف مفارقة عجيبة بين أهل السماء وأهل الغلو في الأرض: الأولون يستغفرون، والآخرون يكفرون!

■ الفوائد:

١. الملائكة، وهم لا يعصون الله، لا ينظرون إلى الخلق إلا بعين الرحمة والدعاء والاستغفار، بينما أهل الغلو يرون أنفسهم فوق الناس ويحكمون عليهم بالكفر.
٢. منهج أهل السنة: الدعاء والاستغفار لأهل القبلة، لا الطعن والاتهام.
٣. التسرع في التكفير علامة هوى وفساد فهم، ولو كان ظاهر صاحبه الصلاح.



الشاهد الثامن الثمانون

أحب الكلام إلى الله بين يديك

الآية ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[سورة الشورى: ٥]

ويستأنس معها أيضاً: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة

الشورى: ٥]

يقول المؤلف:

* عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الكلام أحبُّ إلى الله؟

قال: ما اصطفاه الله لعباده، أو قال لملائكته: سبحان الله وبحمده، يقولها ثلاثاً.

* وقال أبو عبيد: أراه أراد هذه الآية أيضاً: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الشورى: ٥].

التأملات:

* دلَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أعظم الكلام وأحبه إلى الله، وهو التسبيح المقرون بالحمد.

- * وأشار أبو عبيد إلى ارتباط هذا الذكر بذكر الملائكة في القرآن، فهم لا يزالون يسبحون بحمد ربهم، ولم يُؤمروا إلا به.
- * وهذا يدل على أن أحب الكلام إلى الله هو الذي ارتضاه للملائكة المقربين، واختاره لعباده المؤمنين.


■ الفوائد:

١. «سبحان الله وبحمده»: كلمة جامعة، تنزه الله عن كل نقص، وتمجده بكل كمال.
٢. من وفقه الله لهذا الذكر، فقد نطق بأحب الكلام إلى الله، وردد ترنيمه أهل السماء.
٣. التأكيد على أنها تُقال ثلاثاً يدل على فضل التكرار والدوام، لا الاقتصار على مرة واحدة.
٤. هذا الحديث والآية يجمعان بين الوحي والذكر، بين السنة والقرآن، في بيان أفضل ما يُقال.



الشاهد التاسع الثمانون

«رجاء معاذ... وبشارة القرآن»

الآية  **﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾**

﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٦]

يقول المؤلف: 

* عن سلمة بن سبرة قال: خطبنا معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة، وإني لأطمع - إن شاء الله - أن يدخل من تصيبون من فارس والروم الجنة، إن أحدهم يعمل لكم العمل، فتقولون: أحسنت، يرحمك الله، أحسنت، بارك الله فيك.

ثم قال: ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله.

التأملات: 

* أشار معاذ بن جبل إلى أن الإيمان والعمل الصالح لا يقتصر على النسب أو الجنس أو الأصل، بل هو باب مفتوح لمن استجاب لله، ولو كان من فارس أو الروم.

* واستشهد بالآية الكريمة تأكيدًا أن من آمن وعمل صالحًا، نال الاستجابة والزيادة من فضل الله، مهما كان أصله.

■ الفوائد:

١. الإيمان لا يُحتكر، والجنة ليست حكرًا على قوم دون آخرين، بل لكل من صدق وآمن وعمل صالحًا.
٢. القول الحسن للمحسنين (مثل قولهم: «أحسنت، بارك الله فيك») قد يكون سببًا في تشجيعهم على الخير، فيستجيب الله لهم.
٣. الآية تحمل بشارة مزدوجة: استجابة الله للدعاء، وزيادة في الفضل.
٤. كان الصحابة يبشرون الناس بهذا المعنى، ليعظّموا فيهم رجاء الرحمة، ويهدموا أسوار العصبية الجاهلية.



الشاهد التسعون

نسيان القرآن... مصيبة بأثر الذنب

الآية ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

يقول المؤلف:

* عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب.

التأملات:

* يرى الضحاك أن نسيان القرآن بعد حفظه مصيبة عظيمة، لا تقع إلا بسبب ذنب ارتكبه العبد، واستند إلى عموم الآية التي تعلق المصائب بالأسباب.

* القرآن أمانة في الصدر، فمن خان الأمانة ولم يرعها، فقد يُعاقب بسلبها.

* وقد وردت آثار عن الصحابة والتابعين في التشديد على عدم التفريط في حفظ القرآن.

■ الفوائد:

١. نسيان القرآن لا يُنظر إليه فقط كضعف في الذاكرة، بل هو عرضٌ لمرض خفي في القلب، سببه ذنب أو غفلة.
٢. دَلَّ الأثر على رابطة عجيبة بين الذنوب وضياع الحفظ، مما يوجب على الحافظ مراجعة نفسه عند كل ضعف في الحفظ.
٣. القرآن يُؤْتى بالتقوى، ويُنسى بالغفلة، لذا قال بعض السلف: لا يعجزك حفظه، ولكن تعجزك المعصية.



الشاهد الواحد التسعون

قُضِيَ الْأَمْرُ... يَوْمَ كُتِبَ بِالْقَلَمِ

الآية: ﴿وَلَئِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]

يقول المؤلف:

* عن هشام الدستوائي قال: حدثني القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت عروة بن عامر، يقول: سمعت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إن أول ما خلق الله عَزَّجَلَّ القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق، قال: فالكتاب عنده.

ثم قرأ: ﴿وَلَئِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾.

التأملات:

* في هذا الأثر بيان عقيدة أهل السنة في الإيمان بالقدر، وأن أول ما خلقه الله هو القلم، كما في الحديث الصحيح: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

* وموضع الاستشهاد بالآية أن كل ما يُخلق مكتوب عند الله في ﴿أَمْرِ الْكِتَابِ﴾، أي: اللوح المحفوظ.

* قول ابن عباس: فالكتاب عنده، إشارة إلى ثبوت كل ما يقع من الخلق بعلمه وحكمته وتقديره السابق.

■ الفوائد:

١. الخلق خاضع للعلم الأزلي: ما من شيء يقع إلا وقد سبق به الكتاب، مما يورث اليقين والطمأنينة.
٢. في ربط ابن عباس بين حديث القلم وهذه الآية تنبيه على استدلال السلف بالقرآن على دقائق العقيدة، لا بالجدل ولا بالفلسفة.
٣. هذا الأثر يُغرس في القلب الإيمان باللوح المحفوظ، وبأن ما من شيء يقع إلا بعلم الله ومشئته وعدله.



الشاهد الثاني التسعون

اسمك... هل ما زال في الأحياء؟

الآية: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]

يقول المؤلف:

* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق ومع الناس، وقد رُفِعَ اسمه في الموتى.

ثم قرأ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

قال: هي تلك، يُقضى أمر السنة كلها إلى مثلها من قابل.

التأملات:

* ابن عباس يربط بين ليلة القدر وقضاء الله تعالى فيها لما سيكون في السنة كلها من أقضية الآجال والأرزاق والحوادث.

* قوله «وقد رفع اسمه في الموتى» أي: كُتِبَ في اللوح المحفوظ، ثم نُسخ في صحف الملائكة في ليلة القدر أن فلاناً سيموت هذا العام، وهو لا يعلم، لا يزال يمشي ويعمل ويضحك.

* وهذا الاستشهاد من فهم ابن عباس بأن «التفريق» في الآية أي: التمييز والكتابة والتقدير لما سيكون من أحداث السنة.

■ الفوائد:

١. في الأثر بيان إحاطة علم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالمقادير، وأن الإنسان لا يدري متى يختم أجله، لذا عليه أن يعيش بين الرجاء والخوف.
٢. تذكير بليلة القدر، وأنها ليست فقط مضاعفة للأجور، بل فيها أيضًا أحكام للأقدار وتوزيع للصحف، فجدير بالعباد أن يكثروا فيها من التوبة والدعاء.
٣. إشارة إلى أن من علامات فقه السلف أنهم يستحضرون عقيدة القدر في سلوك الناس اليومي، فالرجل يمشي بثقة وهو لا يدري أن اسمه قد كُتب في عداد الموتى!



الشاهد الثالث التسعون

«أذن وكن من الدعوة»

الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

يقول المؤلف:

* عن فضيل بن أبي ربيعة قال: قال لي عاصم بن هبيرة - وكان من كبار أصحاب ابن مسعود - وكنت مؤذناً، فقال لي: إذا قلت «لا إله إلا الله» فقل: «وأنا من المسلمين».

ثم تلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

التأملات:

* هذا الأثر يدل على فهم دقيق للربط بين الأذان والدعوة إلى الله، حيث إن المؤذن ينادي بالتوحيد، وهو من أعظم صور الدعوة.

* فأراد عاصم بن هبيرة أن يربط بين كلمة التوحيد التي هي أعظم دعوة، وبين الانتماء الإيماني الصريح الذي يعلنه العبد بقوله: «وأنا من المسلمين»، كما قال الصالحون.

* واستشهد بالآية ليؤكد أن هذا القول من أحسن الأقوال عند الله، بل هو غاية الكمال في العبارة، لما يجمع من دعوة وإيمان وعمل صادق وهوية دينية واضحة.


■ الفوائد:

١. المؤذن داعية إلى الله بعمله وقوله، ولذلك استحبه له أن يُضمّن أذانه إعلان الانتماء للإسلام.
٢. في هذا التوجيه ترسيخ لفكرة أن العبارات الإيمانية ليست مجرد تكرار، بل شهادة موقف ومكانة.
٣. إعلان الانتماء للإسلام ينبغي ألا يكون فقط في المواقف الصعبة، بل في أوقات العلو والإيمان، كأوقات الأذان والعبادة.




الشاهد الرابع التسعون

صفاتهم مكتوبة قبل أن يولدوا

الآية ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾  مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۚ

رُكْعًا سَجْدًا يَتَّخِذُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَوْثَرَ
السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَنَازَرَهُ... ﴿[الفتح: ٢٩]

يقول المؤلف:

* عن عمار مولى بني هاشم: سألت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن القدر، فقال: اكتف منه بآخر سورة الفتح، وقرأ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ﴾  مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ... ﴿[الفتح: ٢٩].

ثم قال: يعني أن الله تعالى نعتهم قبل أن يخلقهم.

التأملات:

* يُشير أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أن هذه الآية العظيمة تتضمن وصفاً دقيقاً لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو وصف قديم كتبه الله في التوراة والإنجيل قبل أن يُخلقوا.

- * وهذا يدل على سبق علم الله بأحوال عباده وأوصافهم، وعلى تقديره الأزلي لأهل الإيمان.
- * فيكون الجواب عن القدر بأن هؤلاء الأختيار لم يكونوا صدفة، بل الله قد علمهم ووصفهم ورضي عنهم قبل خلقهم.

■ الفوائد:

١. من أعظم ما يُفهم به قضية القدر: أن الله يعلم قبل أن يخلق، ويُقدّر ويكتب صفات عباده.
٢. صفات الصحابة من الرحمة والإيمان والجهاد لم تكن طارئة، بل منسوخة في الكتب السابقة ومذكورة بالثناء.
٣. في الآية جمع بين الركوع والسجود والرحمة والجهاد، إشارة إلى التوازن بين الخشوع لله والشدة على أعدائه.
٤. دلالة على أن أهل الإيمان الحقيقيين مذكورون بالثناء في كتب الأنبياء، فهم امتداد نوراني لحملة الحق في كل زمان.



الشاهد الخامس التسعون

افتح صلاتك بمفتاح القبول

الآية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤٨) [الطور: ٤٨]

يقول المؤلف:

* عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ: حُقَّ على كل مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول: سبحان الله وبحمده لأن الله تعالى يقول لنبية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور: ٤٨).

التأملات:

* استنبط سعيد بن المسيب أن على المسلم أن يستفتح صلاته بالتسبيح، استناداً إلى الأمر الإلهي في
* وخصّه بعض العلماء بقيام الليل، ويدل عليه الحديث الصحيح: «من تعار من الليل فقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استُجيب له، فإن توضأ وصلى، قُبِلت صلاته» [صحيح البخاري: ١١٥٤].

■ الفوائد:

١. الآية فيها أمر بالتسبيح مقرون بقيام النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ويفهم منها استحباب الذكر والتسبيح عند القيام للصلاة.
٢. الحديث يدل على أن الذكر عند الاستيقاظ من الليل له بركات عظيمة: يُستجاب الدعاء وتُقبل الصلاة ويكون الذكر مفتاحًا للقبول.
٣. فيه تربية للمسلم على أن يبدأ وقوفه بين يدي ربه بالتسبيح، وهذا يُعظّم مقام الصلاة ويُهيئ القلب.



الشاهد السادس التسعون

بدأوها لرضوان الله... ثم ضيعوها!

الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]

يقول المؤلف:

* أن زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال: سمعت أبا أمانة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إنكم أحدثتم قيام شهر رمضان، ولم يكتب عليكم، وإنما كتب عليكم صيامه، فدوموا عليه إذ فعلتموه ولا تدعوه. فإن ناسًا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعة لم تكتب عليهم، اتبعوا بها رضوان الله، ثم تركوها، فعاقبهم الله بتركها.

ثم قرأ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

التأملات:

* أبو أمانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحذِرُ مِنَ التَّهَافُونَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي ابْتَدَأَهَا النَّاسُ قَرِيبِي إِلَى اللَّهِ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً.

* مثال ذلك قيام رمضان (التراويح): لم يُفرض، لكنه سنة مؤكدة، وتركه بعد المواظبة عليه قد يكون سبباً في الحرمان، إذا كان التهاون يدل على ضعف الرغبة في الخير.

* استشهد أبو أمامة بنبي إسرائيل، حيث ابتدعوا «الرهبانية» طمعاً في رضوان الله، فلما تركوها بغير عذر، عوقبوا، لأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

■ الفوائد:

١. من داوم على طاعة، فليثبت عليها، ولا يتركها بلا سبب، فإن الترك بعد التعود قد يكون أذى للقلب، وسبباً للخذلان.
٢. ليست المشكلة في الابتداء بالخير، بل في عدم الرعاية له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَارِعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].
٣. الحديث يدل على أن من سن سنة حسنة أو عمل بها ثم تركها بغير موجب شرعي، فهو مُعرض للعقوبة، كما عوقب بنو إسرائيل.



الشاهد السابع التسعون

دعاء الفلاح الخفي

✽ يقول المؤلف:

* عن سعيد بن جبير، عن أبي الهيثج الأسدي، قال: رأيت رجلاً يطوف بالبيت يقول: «رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي...».

فلما انصرف، تبعته، فقلت: من هذا؟

قالوا: عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وزاد عبد الرحمن بن مهدي في روايته: فذكرت ذلك له، فقال لي: «إذا وُقيتُ شح نفسي، لم أزن، ولم أسرق».

* قال أبو عبيد: يريد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [سورة الحشر: آية ٩].

✽ التأملات:

* دعوة عبد الرحمن بن عوف متكررة حول «شح النفس» تدل على فقهه بخطر هذا الداء الباطني.

* فقد علم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن أكثر المعاصي منبعها الشح: شح المال، شح الفرج، شح الجاه...

* وفسّر ذلك بقوله: «إذا وُقِيتُ شح نفسي، لم أزن ولم أسرق»، أي أن الشح إذا ضُبط، سَلِمَت الجوارح. وهذا تأييد لمعنى الآية: أن الوقاية من شح النفس مفتاح للفلاح.

■ الفوائد:

١. الشح ليس فقط في المال، بل هو حب النفس للمنع والاحتكار والاستئثار، ويدفع إلى الطمع والظلم.
٢. من وُقِيَ شح نفسه، لم يعتد على حقوق غيره، ولم تجره شهوته إلى الحرام.
٣. النفوس لا تُصلحها كثرة العبادات فقط، بل المجاهدة لتطهيرها من دواخل الفساد.
٤. دعاء عبد الرحمن بن عوف **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فيه فقه قلبي، يذكرنا بأهمية الدعاء لحراسة الداخل لا الظاهر فقط.



الشاهد الثامن التسعون

النظرة شح... وعض البصر فلاح

الآية ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]

يقول المؤلف:

* عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «النظر إلى امرأة لا يملكها من الشُّحِّ».

* وقال أبو عبيد: «أراه أراد هذه الآية أيضًا: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]».

التأملات:

* الشح هنا ليس في المال فقط، بل هو في شهوة النفس وتعلقها بما لا يحلّ لها.

* فالنظر إلى امرأة لا يملكها إنما هو من شحّ النفس: أي امتناع النفس عن القناعة بما أحلّ الله، وتطلعها إلى ما حُرِّم.

* وبهذا فهمت الآية على وجه أوسع: أن الشحّ يشمل كل رغبة نفسية ظالمة، وليس فقط البخل بالمال.

التأملات: 

١. الشح مرضٌ خفي، يتسلل إلى القلب في صورة نظرة أو طمع أو شهوة، وقد يظنه الناس أمراً عادياً.
٢. الحسن البصري **رَحْمَةُ اللَّهِ**، بنفاز بصيرته، فسّر الشحّ بمعناه الباطني الذي يفسد القلب ويوقع في الحرام.
٣. من ضبط عينه، فقد كبح شح نفسه، ومن أطلق بصره تبعاً لهواها، استسلم للشحّ الخفيّ.
٤. الآية تدل على أن الفلاح لا يكون إلا بوقاية النفس من هذا النوع من الشحّ، الذي يبدأ من عين تتعدى، أو نفسٍ تتطلّع لما ليس لها.



الشاهد التاسع التسعون

سجود القلب للمنة

يقول المؤلف: ❁

عن يزيد بن أبي زياد، أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع رجلاً يقرأ:
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]
فقال ابن مسعود: «إي وعزتك، جعلته سميعاً بصيراً، حياً وميتاً».

التأملات: ❁

- * ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقصد بذلك زيادة على القرآن، وإنما تأثر تأملاً واستحضاراً العظيم النعمة الإلهية؛ فقد كان الإنسان معدوماً لا يُذكر، لا ذاتاً ولا أثراً، ثم جعله الله بقدرته:
 - سميعاً: يسمع الأصوات.
 - بصيراً: يرى الآيات.
 - حياً: يحيا بالنفس والروح.
 - ميتاً: يميته الله ثم يعثه.

* فهو يشهد على نفسه، ويُقرّ بنعمة الخلق والإيجاد، إجابة لنداء الآية.

الشاهد المائة

تمنى لوبرقى فى العدم ولم يخلق

يقول المؤلف:

* قرأ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الآية: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].
فقال: «ليتني كنت ذاك».

التأملات:

* قول ابن مسعود «ليتني كنت ذاك» إشارة إلى شدة خوفه من الحساب وخشية المسؤولية، حتى تمنى لوبرقى فى العدم ولم يُخلق، من شدة شعوره بعظمة الأمانة وثقل التبعة.
* وقد يكون فيه أيضًا نوع من الزهد العميق فى الدنيا، حيث أدرك أنها دار فتن وابتلاء، وأن العدم قد يكون أهون من الدخول فى معترك التكليف.



الشاهد المائة وواحد

لم يتلفظوا بقولهم وأثنى الله على ما قالوه بقلوبهم

الآية: ﴿إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]

يقول المؤلف:

* عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: «أما إنهم لم يقولوا ذلك لهم حين أطعموهم، ولكن علمه الله تعالى من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب فيه راغب».

التأملات:

* يشير مجاهد إلى إخلاص القصد في العمل، فهو لاء الأبرار لم يتلفظوا بقولهم ﴿إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ حين الإطعام، بل نية خفية في القلب، رآها الله، فأثنى عليهم في كتابه.

* وهذا يدل على أن النية الصادقة تكفي، حتى ولو لم تُعلن، بل إن إخفاءها أبلغ في الإخلاص، لأنهم ما أرادوا إلا الله.



الشاهد المائة وواحد

القرآن منهج حياة حتى في أبسط التصرفات

الآية: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المرسلات:

[٢٦-٢٥]

يقول المؤلف:

* عن الربيع بن خثيم: أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَفَنَ قَمَلَةً فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾.

التأملات:

* تصرف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس مجرد موقف عابر، بل تطبيق دقيق للآية التي تشير إلى أن الأرض تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في باطنها.

* فحتى هذه القملة - وهي من أصغر المخلوقات - رآها مستحقةً للكفت في الأرض، وكأنما فهم أن الأرض مخلوقة لاحتضان المخلوقات جميعاً، صغيرها وكبيرها، حيها وميتها.



الشاهد المائة واثنان

هروب الأقارب من بعض لماذا؟

الآية: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبِنِهِ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ

أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]

يقول المؤلف:

* عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «ليس شيء أشد على الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يطلبه بمظلمة، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ...﴾».

التأملات:

- * هذا الأثر يكشف خفايا نفس الإنسان يوم العرض الأكبر، فالفرار هنا ليس فقط هلعاً من العذاب، بل هروبٌ ممن قد يطالبه بحقٍ ضيِّعه، أو ظلم ارتكبه.
- * في الدنيا نفرح بمن نعرف
- * أما في الآخرة، فقد يكون كل وجهٍ نعرفه سبباً للرعب.
- * إنه يوم لا تنفع فيه القربى، ولا يشفع فيه ودٌّ، ولا يحول فيه نسبٌ دون الحساب.

الشاهد المائة وثلاث

إياك والتطيف في الصلاة

يقول المؤلف:

* عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الصلاة مكيال، فمن وفى وُفِّي له، ومن طُفّف فقد علمتم ما قال الله في المطففين».

الاستشهاد القرآني:

* ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَّأُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة المطففين، ١-٣]

التأملات:

١. الصلاة مكيال: أي أن الله يكيل لك بالقبول والمثوبة بحسب وفائك بها.
٢. من أداها بحقها، من خشوع وخضوع، نال تمام الأجر.
٣. ومن طفف فيها: كأن أسرع في ركوعها، أو سهى فيها، أو غفل عن شروطها، فإنما هو كالمطفف في الميزان... وقد توعد الله المطففين بالويل.

الشاهد المائة ورابع

هل جعلت الصدقة مدخلاً للصلاة، وبوابة للفلاح

✽ يقول المؤلف:

✽ عن علي بن الأقرم قال: سمعت أبا الأحوص غير مرة يقول:

رحم الله رجلاً تصدق ثم صلى، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ

أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥ [الأعلى: ١٤-١٥]

✽ التأمّلات:

✽ التزكية المقصودة في الآية تشمل: تزكية النفس بالعمل الصالح، ومنها الصدقة.

✽ ثم أعقبها بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أعظم الذكر: الصلاة.

✽ أبو الأحوص يستنبط ترتيباً عملياً للآية:

- تزكى = تصدق

- ذكر اسم ربه = استعداد وخشوع

- فصلى = إقامة الصلاة بحق

✽ فكأنّه يقول: هذا هو الفلاح حقاً... تصدق، ثم توجه لربه

بالصلاة، فجمع بين نفع الخلق وعبادة الحق.

الشاهد المائة وخمس

الخطاب القرآني يراعي ثقافة المخاطبين

✽ يقول المؤلف:

✽ عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إنما خاطب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العرب بما تعرف، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وما تقي من البرد أكثر أو أعظم - شك أبو عبيد - ولكنهم كانوا أصحاب حر.

✽ التأملات:

✽ الخطاب القرآني يراعي ثقافة المخاطبين وبيئتهم، فالعرب كانوا يعيشون في بيئة صحراوية حارة، فناسب ذكر الوقاية من الحر، وإن كانت السرابيل تقي من البرد أكثر.

✽ العبارة «ولكنهم كانوا أصحاب حر» تشير إلى أن الخطاب جاء بما يفهمونه ويحتاجونه.



الشاهد المائة وستة

اليسر ملازم للعسر

الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾ [الشرح: ٥-٦]

يقول المؤلف:

* عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ الْعُسْرَ دَخَلَ جَحْرًا، لَجَاءَ الْيُسْرَ حَتَّى يَدْخُلَ مَعَهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ».

التأملات:

* هذا الفهم من ابن مسعود يدل على إيمانه الجازم بأن اليسر ملازم للعسر، بل يتبعه ويتسلل إليه أينما دخل.

* وقد استنبط من تكرار «اليسر» نكرة مرتين، وتكرار «العسر» معرفة، أن العسر واحد، واليسرين مختلفان، ف«عسر واحد لا يغلب يسرين».

الفوائد:

١. كم مرة داهمك العسر وظننت أنه لن يزول، ثم جاء اليسر من حيث لا تحتسب؟

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾؟

٢. لماذا نحزن وكأن الآية لا

٣. أليس هذا درسًا ألا نياس مهما ضاق الجحر، فمعه سيدخل

اليسر؟



الشاهد المائة وسبعة

الدنيا دار زيارة لا دار إقامة

✽ يقول المؤلف:

✽ قال ميمون: «كنت عند عمر بن عبد العزيز، فتلا: ﴿أَلْهَنَكُمْ
التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢»، فقال: يا ميمون، ما أرى القبور
إلا زيارة، ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله، إما إلى الجنة، وإما
إلى النار».

✽ التأمّلات:

✽ فَهَمَّ عمر بن عبد العزيز من لفظ «زيارة» أن القبور ليست دار
مقام، بل دار ممر.

✽ وأشار إلى أن الدار الحقيقية هي دار القرار: إما الجنة أو النار.

✽ في هذا القول توجيه عظيم إلى التفكّر في حقيقة الدنيا وزيف
التعلق بها.

■ الفوائد:

١. إذا كانت القبور «زيارة»... فهل أعددت لرحلة الرجوع؟

٢. من منا يزور مكاناً دون أن يُعدّ لما بعد الزيارة؟
٣. هل ترى حياتك مجرد عبور... أم استقرار بلا رجعة؟



الشاهد المائة وثمانية

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي

نص الحديث:

* عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن.

قالت: تأول قول الله عزَّجَلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]. [رواه البخاري (٧٩٤) ومسلم (٤٨٤)]

التأملات:

* قال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللهُ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ: «يريد بذلك قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر هذا الذكر تأوُّلاً للآية، أي: امتثالاً لها وتطبيقاً عملياً لتوجيه الله عزَّجَلَّ».

الفوائد:

* يتأول القرآن: أي يعمل به ويُطبِّقه، وليس التأويل هنا بمعناه

الاصطلاحى المتأخر (الترجيح بين المعاني)، بل معناه الامتثال العملي لما أمر به الله في كتابه.

■ يُستفاد من هذا:

١. أن التأسى بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس فقط في الأفعال المجردة، بل أيضًا في كيفية تعامله مع القرآن.
٢. أن الذكر في الركوع والسجود له بعد قرآني وليس مجرد ترداد كلمات.



خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد البريات، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد... وفي ختام هذه الرحلة مع شواهد القرآن...

يتبين للقارئ أن أعظم ما ميّز الجيل الأول لم يكن كثرة المعلومات وحدها، ولا مجرد حفظ النصوص، وإنما: حياة قلوبهم بالقرآن.

فقد كانوا يعيشون مع الآيات شعورًا وفهمًا واستحضارًا؛ حتى صار القرآن حاضرًا في:

* مواقفهم، وكلماتهم، ونظرتهم للناس، وتأملهم للأحداث، ومعالجتهم لأمراض القلوب والمجتمعات.

* فإذا رأوا مشهدًا... تذكروا آية.

* وإذا سمعوا كلمة... استحضروا شاهدًا من القرآن.

* وإذا مرّت بهم فتنة أو عبرة أو موقف... تكلمت الآيات في قلوبهم قبل ألسنتهم.

ومن هنا كانت هذه الشواهد أعظم من كونها مجرد "استدلالات"؛

بل هي:

* دلائل على حياة القرآن في نفوسهم، وشواهد على عمق ارتباطهم بكلام الله، وصور عملية وكيف ينبغي أن يكون أثر القرآن في حياة المؤمن.

ولعل من أعظم ما يحتاجه المسلم اليوم: ألا يبقى القرآن عنده محصوراً في التلاوة المجردة، بل ينتقل إلى مرحلة:
"النظر إلى الحياة بعين القرآن".

فيقرأ: الناس بالقرآن، والفتن بالقرآن، والنفس بالقرآن، والواقع بالقرآن. فيرى في الآيات:

ميزاناً، ونوراً، وبصيرة، وهداية لكل ما يمر به في حياته.

فقد كانت هذه الصفحات رحلة ممتعة في رياض الشواهد القرآنية، نستشق فيها عبق السلف الصالح، ونرقب فيها كيف كانوا يربطون واقعهم بالقرآن، فيربطون الحوادث بالآيات، والمواقف بالتوجيهات، والأقوال بالأحكام، حتى صار القرآن عندهم حياة تُرى، لا مجرد حروف تُتلى.

أسأل الله الكريم: أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء
أحزاننا، وأن يرزقنا تدبره والعمل به، وأن يجعلنا من أهله وخاصته، وأن
يحیی قلوبنا بآياته كما أحيا بها قلوب السلف الصالح.
وصلی الله وسلم وبارك علی نبینا محمد، وعلی آله وصحبه أجمعین.



الفهرس

- ٤ المقدمة ❁
- ٧ الشاهد الأول ❁
- ٧ ■ الصلاة عند المصيبة – سلوك الخاشعين
- ٩ الشاهد الثاني ❁
- ٩ ■ ثلاث عطايا ربانية لمن قال «إنا لله وإنا إليه راجعون»
- ١١ الشاهد الثالث ❁
- ١١ ■ علم لا يُقال إلا بميزان
- ١٣ الشاهد الرابع ❁
- ١٣ ■ لا إكراه في الدين – فقه المواقف والفتاوى
- ١٥ الشاهد الخامس ❁
- ١٥ ■ بيع الدين بأقل منه – بين ظاهر النص ومقاصد الشريعة
- ١٧ الشاهد السادس ❁
- ١٧ ■ السَّلَم – بيع الثقة المؤطر بالشرع
- ١٩ الشاهد السابع ❁
- ١٩ ■ لا يُصلح الغدر أن يكون فتهاً
- ٢١ الشاهد الثامن ❁
- ٢١ ■ سلاح اليمين – بين أمانة الخصومة وعذاب الآخرة
- ٢٣ الشاهد التاسع ❁
- ٢٣ ■ دمة على ضلال... وقلوب احترقت بآية

- ٢٥ **الشاهد العاشر** ❁
- ٢٥ ■ **الحلم لا يُشترى بالثناء، والصدق لا يُعرض للبيع**
- ٢٧ **الشاهد الحادي عشر** ❁
- ٢٧ ■ **بين شرط الزوجة وقوامة الرجل – موازنة بين النص والاتفاق**
- ٢٩ **الشاهد الثاني عشر** ❁
- ٢٩ ■ **الإصلاح بين الناس... جهاد من نوع آخر**
- ٣١ **الشاهد الثالث عشر** ❁
- ٣١ ■ **نية الشفاعة... طريق إلى الأجر وإن لم تُقبل**
- ٣٣ **الشاهد الرابع عشر** ❁
- ٣٣ ■ **رجاء المؤمن يصنع الفارق في ساحة الألم**
- ٣٥ **الشاهد السادس عشر** ❁
- ٣٥ ■ **ضحكة تُسخط الله... ومجلس يُنسب لأهله**
- ٣٧ **الشاهد السابع عشر** ❁
- ٣٧ ■ **ميزان القبول... ليس بكثرة العمل بل بتقوى القلب**
- ٣٩ **الشاهد الثامن عشر** ❁
- ٣٩ ■ **اللعب بالدين... متى يُقطع جبل التوبة؟**
- ٤١ **الشاهد التاسع عشر** ❁
- ٤١ ■ **لما لا تُنهيكم آية؟! تأمل في «ولا تقتلوا أنفسكم»**
- ٤٤ **الشاهد العشرون** ❁
- ٤٤ ■ **حين تلتقي المغفرة بالنعمة... بين آية الفتح وآية الوضوء**

- ٤٧ الشاهد الحادي والعشرون ❁
- ٤٧ ■ لا تُعَمَّر ما خَصَّه الله... فهم السياق يحفظ العقيدة
- ٥٠ الشاهد الثاني والعشرون ❁
- ثلاثة عهود في رقبة الحاكم... لا يتبع هوى، ولا يخاف سوى الله، ولا يبيع حكم الله
بثمن
- ٥٣ الشاهد الثالث والعشرون ❁
- ٥٣ ■ حين يُصبح السلام تطبيقاً قرآنياً حياً
- ٥٦ الشاهد الرابع والعشرون ❁
- ٥٦ ■ نَعِمَّ على نار.. إذا رأيت النعمة مع المعصية
- ٥٨ الشاهد الخامس والعشرون ❁
- ٥٨ ■ حتى البهائم... يوم عدل وحساب!
- ٦٠ الشاهد السادس والعشرون ❁
- ٦٠ ■ سجدة على خُطى الأنبياء
- ٦٢ الشاهد السابع والعشرون ❁
- ٦٢ ■ فليتق الله أن يُنقى عنه النور
- ٦٤ الشاهد الثامن والعشرون ❁
- ٦٤ ■ هل تستحيي كما استحيا أبوك؟
- ٦٦ الشاهد التاسع والعشرون ❁
- ٦٦ ■ إذا فُتِحَ عليك... فقل الحمد لله

- ٦٨ الشاهد الثلاثون ❁
- ٦٨ ■ الدعاء... ما بين الرجاء والاعتداء
- ٧١ الشاهد الحادي والثلاثون ❁
- ٧١ ■ حين يسكت الغضب... يبقى الهدى
- ٧٣ الشاهد الثاني والثلاثون ❁
- ٧٣ ■ حين يسكت القرآن... يبكي العلماء
- ٧٦ الشاهد الثالث والثلاثون ❁
- ٧٦ ■ وكان وقافاً عند كتاب الله
- ٧٨ الشاهد الرابع والثلاثون ❁
- ٨٧ ■ ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ الْآفَ بِنَبِيِّهِمْ﴾
- ٨٠ الشاهد الخامس والثلاثون ❁
- ٨٠ ■ عمل يسير والعاملون به قليل
- ٨٢ الشاهد السادس والثلاثون ❁
- ٨٢ ■ قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
- ٨٤ الشاهد السابع والثلاثون ❁
- ٨٤ ■ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾
- ٨٦ الشاهد الثامن والثلاثون ❁
- ٨٦ ■ القلوب أوعية لا تقبل المزاحمة

- ٨٩ الشاهد التاسع والثلاثون ❁
- ٨٩ ■ منهجية التربية بالقصص القرآني
- ٩١ الشاهد الأربعون ❁
- ٩١ ■ «أيحسد المؤمن؟»
- ٩٣ الشاهد الحادي والأربعون ❁
- ٩٣ ■ من تعلق بشيء وكل إليه
- ٩٥ الشاهد الثاني والأربعون ❁
- ٩٥ ■ ليست كل دمة دليل صدق
- ٩٧ الشاهد الثالث والأربعون ❁
- ٩٧ ■ فرق بين التوجع وبين التعبد بالاسترجاع
- ٩٩ الشاهد الرابع والأربعون ❁
- ٩٩ ■ طبيعة الحزن المشروع
- ١٠١ الشاهد الخامس والأربعون ❁
- ١٠١ ■ «حين نزل الحسين هرب الكبر وجاء القرآن»
- ١٠٣ الشاهد السادس والأربعون ❁
- ١٠٣ ■ «عمر وتنزيل الآية على المهاجرين»
- ١٠٥ الشاهد السابع والأربعون ❁
- ١٠٥ ■ «ميزان العدل في الرد بالمثل»
- ١٠٧ الشاهد الثامن والأربعون ❁
- ١٠٧ ■ «عليكم بالشفاءين»

- ١٠٩..... الشاهد التاسع والأربعون ❁
- ١٠٩..... ■ الفساد العقدي أصل الفساد في الأرض
- ١١١..... الشاهد الخمسون ❁
- ١١١..... ■ القلوب المغلقة لا يفتحها إلا مفتاح «لا إله إلا الله»
- ١١٣..... الشاهد الحادي والخمسون ❁
- ١١٣..... ■ حال القلوب بعد القرآن بين الزيادة والنقصان
- ١١٥..... الشاهد الثاني والخمسون ❁
- ١١٥..... ■ العلم النافع هو ما أحيا قلبك
- ١١٧..... الشاهد الثالث والخمسون ❁
- ١١٧..... ■ قراءة القلب تسبق كثرة الحروف
- ١١٩..... الشاهد الرابع والخمسون ❁
- ١١٩..... ■ درع ضد الحسد
- ١٢١..... الشاهد الخامس والخمسون ❁
- ١٢١..... ■ لا تجد عاقاً إلا وجدته جباراً
- ١٢٣..... الشاهد السادس والخمسون ❁
- ١٢٣..... ■ كم من موقف في حياتنا غلبنا فيه التردد
- ١٢٥..... الشاهد السابع والخمسون ❁
- ١٢٥..... ■ من أعظم أساليب الصيانة للنفس ألا تطيل النظر»
- ١٢٧..... الشاهد الثامن والخمسون ❁
- ١٢٧..... ■ ليس الحب أن تدفنهم بالغطاء بل أن توقظهم للضياء

- ١٢٩..... الشاهد التاسع والخمسون ❁
- ١٢٩..... ■ اجعل السجود جسراً إلى الفرج
- ١٣١..... الشاهد الستون ❁
- ١٣١..... ■ « طبيعة الدنيا دار ابتلاء »
- ١٣٣..... الشاهد الحادي الستون ❁
- ١٣٣..... ■ « من تعلق بشيء عكف عليه »
- ١٣٥..... الشاهد الحادي الستون ❁
- ١٣٥..... ■ لا تجعل الخوف من الخطأ موجباً للفرار من النفع »
- ١٣٧..... الشاهد الثاني الستون ❁
- ١٣٧..... ■ من تربي على القرآن يشكو لله ... بكلمات أنبيائه
- ١٣٩..... الشاهد الثالث الستون ❁
- ١٣٩..... ■ دعاءهم في النار هو صوت التأخر
- ١٤٣..... الشاهد الرابع الستون ❁
- ١٤٣..... ■ « الكفر أحياناً لا يعلن نفسه »
- ١٤٦..... الشاهد الخامس الستون ❁
- ١٤٦..... ■ الحكمة قد تخرج من فم فاجر
- ١٤٩..... الشاهد السادس الستون ❁
- ١٤٩..... ■ مقعداً محجوراً بين عيني جهنم لهؤلاء »
- ١٥١..... الشاهد السابع الستون ❁
- ١٥١..... ■ منتصف النهار يكون قد حُسم فيه المصير

- ١٥٣ **الشاهد الثامن الستون** ❁
 ■ **المطر هو هو، لكن الله يصرفه بين الناس ليذكّرهم**
- ١٥٣ **الشاهد التاسع الستون** ❁
 ■ **الكرم الحقيقي في عفة النفس عن الدنيا**
- ١٥٧ **الشاهد السبعون** ❁
 ■ **كيف يُربّون أنفسهم وأهلهم على الشكر لا الخوف**
- ١٥٩ **الشاهد الحادي السبعون** ❁
 ■ **تكرار القتل يُخرجك من الإصلاح إلى الجبروت»**
- ١٦١ **الشاهد الثاني السبعون** ❁
 ■ **فكم من خطوة للرزق صارت طريقاً إلى الجنة**
- ١٦٣ **الشاهد الثالث السبعون** ❁
 ■ **متى كانت آخر مرة غيّرت آية شيئاً في حياتنا؟**
- ١٦٥ **الشاهد الرابع السبعون** ❁
 ■ **لو كانت الصلاة شخصاً يأمرنا: هل نستجيب لأمره؟**
- ١٦٧ **الشاهد الخامس السبعون** ❁
 ■ **الورع في موطن التولي**
- ١٦٩ **الشاهد الخامس السبعون** ❁
 ■ **فقه أبوهريرة في نسبة النعمة إلى الله**
- ١٧١ **الشاهد السادس السبعون** ❁
 ■ **كما نرى الأرض تُحيا بالماء، فكذلك الأجساد**

- ١٧٣ الشاهد السابع السبعون ❁
- ١٧٣ ■ كلمات تصنع أثراً عظيماً في السماء
- ١٧٥ الشاهد الثامن السبعون ❁
- ١٧٥ ■ ذنبك قد لا تعاقب عليه وحدك بل أحبابك من حولك
- ١٧٧ الشاهد التاسع السبعون ❁
- ١٧٧ ■ النبي يتلقى الوحي حتى في منامه
- ١٧٩ الشاهد الثمانون ❁
- ١٧٩ ■ الشيطان يفتن الغافلين... لا الذاكرين
- ١٨١ الشاهد الواحد الثمانون ❁
- ١٨١ ■ السماء عامرة بالملائكة لا فراغ فيها
- ١٨٣ الشاهد الثاني الثمانون ❁
- ١٨٣ ■ غيرة السلف على ألقاظ الوحي
- ١٨٥ الشاهد الثالث الثمانون ❁
- ١٨٥ ■ الأكوان على الأصابع... فكيف تعظم نفسك؟!
- ١٨٧ الشاهد الرابع الثمانون ❁
- ١٨٧ ■ «نعي القرآن كل حي».
- ١٨٩ الشاهد الخامس الثمانون ❁
- ١٨٩ ■ «نحن أخوان فكيف نختصر؟».
- ١٩١ الشاهد السادس الثمانون ❁
- ١٩١ ■ حين ترفع يديك... أنت تعبد

- ١٩٣ الشاهد السابع الثمانون ❁
- ١٩٣ رحمة السماء... وغلوا الأرض ■
- ١٩٥ الشاهد الثامن الثمانون ❁
- ١٩٥ أحب الكلام إلى الله بين يديك ■
- ١٩٧ الشاهد التاسع الثمانون ❁
- ١٩٧ «رجاء معاذ... وبشارة القرآن» ■
- ١٩٩ الشاهد التسعون ❁
- ١٩٩ نسيان القرآن... مصيبة بأثر الذنب ■
- ٢٠١ الشاهد الواحد التسعون ❁
- ٢٠١ قُضي الأمر... يوم كُتب بالقلم ■
- ٢٠٣ الشاهد الثاني التسعون ❁
- ٢٠٣ اسمك... هل ما زال في الأحياء؟ ■
- ٢٠٥ الشاهد الثالث التسعون ❁
- ٢٠٥ «أذن وكن من الدعاة» ■
- ٢٠٧ الشاهد الرابع التسعون ❁
- ٢٠٧ صفاتهم مكتوبة قبل أن يولدوا ■
- ٢٠٩ الشاهد الخامس التسعون ❁
- ٢٠٩ افتح صلاتك بمفتاح القبول ■
- ٢١١ الشاهد السادس التسعون ❁
- ٢١١ بدأوها لرضوان الله... ثم ضيعوها! ■

- ٢١٣ الشاهد السابع التسعون ❁
- ٢١٣ ■ دعاء الفلاح الخفي
- ٢١٥ الشاهد الثامن التسعون ❁
- ٢١٥ ■ النظرة شح... وغضّ البصر فلاح
- ٢١٧ الشاهد التاسع التسعون ❁
- ٢١٧ ■ سجود القلب للمنة
- ٢١٨ الشاهد المائة ❁
- ٢١٨ ■ تمنى لوبقي في العدم ولم يُخلق
- ٢١٩ الشاهد المائة وواحد ❁
- ٢١٩ ■ لم يتلفظوا بقولهم وأثنى الله على ما قالوه بقلوبهم
- ٢٢٠ الشاهد المائة وواحد ❁
- ٢٢٠ ■ القرآن منهج حياة حتى في أبسط التصرفات
- ٢٢١ الشاهد المائة واثنان ❁
- ٢٢١ ■ هروب الأقارب من بعض لماذا؟
- ٢٢٢ الشاهد المائة وثلاث ❁
- ٢٢٢ ■ إياك والتطيف في الصلاة
- ٢٢٣ الشاهد المائة ورابع ❁
- ٢٢٣ ■ هل جعلت الصدقة مدخلاً للصلاة، وبوابة للفلاح
- ٢٢٤ الشاهد المائة وخمس ❁
- ٢٢٤ ■ الخطاب القرآني يراعي ثقافة المخاطبين

- ٢٢٥ الشاهد المائة وستة ❁
- ٢٢٥ ■ اليسر ملازم للعسر
- ٢٢٧ الشاهد المائة وسبعة ❁
- ٢٢٧ ■ الدنيا دار زيارة لا دار إقامة
- ٢٢٩ الشاهد المائة وثمانية ❁
- ٢٢٩ ■ سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي
- ٢٣١ خاتمة الكتاب ❁
- ٢٣٤ الفهرس ❁

